نظرة عن كثب
بالنقد و التحليل
لكتاب « فن الحرب»
لسون تزو

محاولة في الإستراتيجيا

د.محمد بشير الجويني..
عالم مستقبليات.

NG
Noble Governance
Our common destiny

إهداء

لكل من أمن بالحرية و
أعتنقها دينا و دنيا

إلى العقول النيرة،الثائرة
والطامحة إلى الأفق
اللامتناهي

د. جهيني

اعلام

هذا المجهود ليس تلخيصا لكتاب «فن الحرب» لسون تزو بقدر ماهو تحليل للفهم ونقد للتقييم لثلاثة عشر فصلا مع مراعات الترتيب الذي احتواه الكتاب الأصلي سالف الذكر.

لذلك من يريد فهم ما كتبته ، عليه أولا قراءة الكتاب الأصلي سواء بنسخته العربية أو الفرنسية أو حتى الإنجليزية ، مع أني وجدت بعض الإختلافات في الترجمات الموجودة لهذا الكتاب إلا أن هذه الإختلافات لاترتقي أن تكون مهمة فالأهم (الحكمة) موجودة فيها

ملاحظة : الصور المرافقة بما في ذلك صورة الغلاف هي اجتهاد شخصي بإعتماد الذكاء الإصطناعي (AI) ومن وحي الخيال.

بتصرف في بعض عناوين الفصول نظرا للإختلافات في الترجمة بين اللغات الثلاث العربية،الفرنسية و الانجليزية .

المحتوى

تمهيد

المقدمة

الجزء الأول: نقد وتحليل لفصول الكتاب

- الفصل الأول	- وضع الخطط
- الفصل الثاني	- شن الحرب
- الفصل الثالث	أسباب النصروالهزيمة
- الفصل الرابع	-الترتيبات التكتيكية
- الفصل الخامس	- الطاقة أو القدرة
- الفصل السادس	-نقاط القوة و الضعف
- الفصل السابع	- المناورة
- الفصل الثامن	- المتغيرات التسعة
- الفصل التاسع	- التحرك بالجيش
- الفصل العاشر	- التضاريس
-الفصل الحادي عشر	- الحالات التسعة
-الفصل الثاني عشر	- فن الهجوم بالنار
-الفصل الثالث عشر	-استعمال الجواسيس

الجزء الثاني : تقييم شامل لمحتوى الكتاب

بمقام خاتمة

المراجع و الإحالات

المؤلف في سطور

تمهيد :

لا يمكن للتاريخ أن يتنكر لإبداعات و إشراقات المفكرين الذين أضافوا للبشرية من خلال انتاجاتهم الفكرية والمعرفية .

ومن هنا على هذه الأرض ، واعترافا منا " برجالات " تركوا بصمتهم في تاريخ الإنسانية مثل سون تزو Sun Tzu وما أسهمته تحفته الفريدة «فن الحرب» ، جلي بنا أن نواصل على مسار هذا القائد الفذ عبر" تفكيك شفرة هذه الموسوعة أو الدليل المعرفي" (رغم صغر حجمها) عبر التحليل و النقد ، كنوع من تحريك المياه الراكدة ، ليس استنقاصا لمجهود الرجل و لا تشكيكا في قدراته و أثره الرائع ، و لكن اعترافا وتقديرا له و ما أضافه كتابه « فن الحرب» وهو **أقدم أطروحة معروفة عن الحرب وفي العلوم العسكرية بشكل عام ، وفي الإستراتيجيا بشكل خاص** .

المقدمة :

الحاجة أم الإختراع كما يقال ، وحاجة البشرية لمناهج جديدة في السلام كما في الحرب يجعلنا نعيد التفكير في الموروث البشري الثقافي و الفكري ، و التمحيص في دلائل المخطوطات في المجال العسكري بشكل خاص و الإستراتيجي بشكل عام ، ولنا في كتاب « فن الحرب» لسون تزو خير دليل . ولكن و " للأسف" لم يقيم هذا الكنز المعرفي خير تققيم و الإكتفاء فقط بإعتباره مرجعا دون " فك لشيفراته" ووضعه تحت المجهر لا من خبراء و لا أكادميين ولا غيرهم ، لا من الشرق و لا حتى من الغرب و ٱكتفو فقط إما « بالترجمة أو بالتلخيص و حتى بالمقارنات و مواقف أو ٱراء متباينة هنا و هناك سواء شفاهية أو حتى كتابية » ، وهذا إجحاف بحق الكتاب ومؤلفه كذلك .

لذلك سنحاول رد الإعتبار لهذا المخطوط القيم عبر التحليل و التقييم علنا نوفي الكتاب وصاحبه حقهم ، وقد ارتأينا لذلك عبر أدوات نقدية وتحليلية كمناهج البحث المتداخلة من المنهج الإستقرائي و الإستنباطي إلى التجريبي، المنظوماتي، الإستشرافي، التاريخي ثم الوصفي ، و بإعتماد الطريقة أو الإستراتيجية « العابرة ومتعددة التخصصات » و التي تحتوي وفي نفس الوقت " متناسلة " من المناهج سالفة الذكر، بالإضافة إلى نظريتنا « الحوكمة النبيلة Noble Governance » .

(أنظر رابط النظرية في المراجع)

هذا الكتاب يحمل جزئين أساسيين :

- الجزء الأول: تحليل وتقييم أو نقد الكتاب من خلال أجزائه أو فصوله الثلاثة عشر (كل على حدة) .
- الجزء الثاني : تقييم شامل لمحتوى الكتاب مع النظر في مآلات أو قابلية تطبيقاته في زمننا المعاصر .

始計第一

孫子曰：兵者，國之大事，死生之地，存亡之道，不可不察也。 故經之以五事，校之以計，而索其情：一曰道，二曰天，三曰地，四曰將，五曰法。 道者，令民與上同意也，固可與之死，可與之生，而不畏危；天者，陰陽、寒暑、時制也；地者，高下、遠近、險易、廣狹、死生也；將者，智、信、仁、勇、嚴也；法者，曲制、官道、主用也。凡此五者，將莫不聞，知之者勝，不知者不勝。 故校之以

？將孰有能？天地孰得？法？賞罰孰明？吾以此知勝負；將不聽吾計，用之必敗，以佐其外。勢者，因利而制示之不能，用而示之不用，

而誘之，亂而取之，實而備而驕之，佚而勞之，親而離家之勝，不可先傳也。 夫

الجزء الأول

تحليل وتقييم أو نقد الكتاب من خلال أجزائه أو فصوله الثلاثة عشر (كل على حدة)

الفصل الأول : وضع الخطط

1) هذا الفصل هو عبارة عن مدخل إلى الحرب " كبرنامج مستقبلي" ، فهو (أي هذا الفصل) خارطة الطريق لإعداد خطة استراتيجية (Strategic Plan) تهدف إلى توجيه الجهود والموارد ، لتحقيق أهداف محددة ضمن إطار زمني محدد في إطار جغرافي معين .

2) قد أشار في بداية هذا الفصل لأهمية فن الحرب الحيوي للدولة « فهو مسألة حياة أو موت،و بمثابة الطريق إلى الأمان أو إلى الخراب » كما قال، و بالتالي هي شيئ حتمي لقيام الدول (سواء في نشأتها،أو بقائها أو حتى في تهديد لوجودها) ، مما يحيلنا إلى أن مفهوم « الدولة ككيان سياسي » متأصل منذ القدم وهو ما يحيلنا كذلك إلى « فلسفة التاريخ التي ترى في الحرب ضرورة للتطور البشري ».

3) يقوم فن الحرب على مبادئ خمس سماها « عوامل ثابتة يجب على من يتحرى أحوال ميدان المعركة أن يضعها في الحسبان وأخذها في الاعتبار » ، وان قصد بكلمة " ثابتة " هنا أي قواعد أساسية ، إلا أنها غير ثابتة بالمعنى الأصلي للكلمة كما سنوضح ذلك لاحقا .

المبادئ أو العناصر الخمس الثابتة الاساسية هي :

- ❖ نظام أو قانون الأخلاق (العقيدة)
- ❖ السماء (الزمان)

- ❖ الأرض (المكان)
- ❖ القائد (صفات قيادية)
- ❖ النظام العام (التنظيم)

والتي يعتبرها شروطا أساسية ، ليربطها بعد ذلك بالمقارنة مع ما للعدو (من هذه المبادئ) عبر اسئلة (مثال أي مِن حكام الطرفين أكثر تمسكاً بعناصر القانون الأخلاقي؟) لمعرفة أو تحديد النصر من الهزيمة .

4) فلو لاحظنا سنجد أن ثلاثة من هذه العناصر وهي العقيدة و القيادة و النظام العام مرتبطة بالعامل البشري وهي " القوى المحركة " أو مراكز القوى للمحارب (الجندي و القائد) ، أما للعنصرية الباقيين وهما السماء أي الزمان و المكان فهما أهم عوامل الطبيعة اللتان وجب التركيز عليهما في ميدان الحرب ، وكأنه عبر هذه ‘‘التركيبة’’ يحاول التوفيق و المزج بين الإنسان و الطبيعة عبر الفلسفة الطاوية بجزئيها « الين و اليانغ » (Yinو Yangبلغة فلسفة الطاو[1]) .

❖ ولكن وجب الإشارة إلى أنه كما تحتوي الطبيعة الإنسان ، يحمل الإنسان داخله الطبيعة ،كما هو موجود بالصورة أسفله (نقطة سوداء داخل البياض ، والأبيض داخل الأسود)

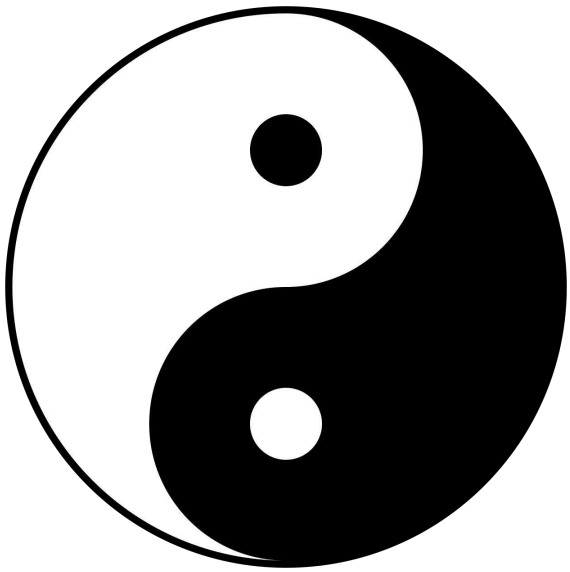

[1] في الفلسفة الصينية، وخاصةً الطاوية، يُمثل الين واليانغ فكرة فلسفية صينية تستخدم لشرح كيفية ترابط القوى المتضادة واعتمادها المتبادل على بعضها البعض. بفضل تكاملهما وتعارضهما، يمهد الطريق لتحليل أولي لجميع ظواهر الحياة والكون. يجسد الين، الممثل باللون الأسود، المبدأ الأنثوي، القمر، الظلام، النضارة، التقبل، إلخ. أما اليانغ، (الذي يظهر على خلفية بيضاء)، فيمثل المبدأ الذكوري، الشمس، اللمعان، الحرارة، الزخم، الفعل، إلخ.

الصورة أعلاه مأخوذة من أحد مقالاتي باللغة الفرنسية (الإنسان و الطبيعة) ، تبرز علاقة الإنسان المركبة و الوطيدة بالطبيعة.

5) ولكن ورغم ما لهذه العناصر الخمس من أهمية يمكن تصنيفها كذلك على أنها عناصر غير ثابتة أي متغيرة أو بمعنى آخر يمكن أن تكون ضرفية و تتغير لأي حال من الأحوال ، فمنها ماهو معنوي محكوم بالوازع الداخلي (كامنة في النفوس) مثل النظام الأخلاقي (أو العقيدة كمصطلح حديث) و القائد و حتى النظام العام و منها ماهو مادي مثل المناخ (أو الزمن) و الأرض (أو المكان) ، وان أشار إلى أنها الأسس لكل أرض معركة فآعتبرها من الثوابت (أي التي لا تتغير)، بتأكيده « أن القائد الذي يصغي لمشورته ويعمل بها سينتصر وعكسه في ذلك من لم يصغي لمشورته سيعاني الهزيمة » ، ولكنها في الأصل (العناصر الخمس) هي متغيرات فبمقتل القائد مثلا و لإغراءات أو بالتهديد ، يمكن أن يختل توازن عنصر القانون الأخلاقي و عنصر القائد وحتى عنصر النظام العام (بإنهيار المعنويات مثلا)، و كذلك مثال المناخ المتغير فجأة بإعتباره " منظومة فوضوية" (Chaotic System) مثلما يمكن التنبؤ به هو كذلك غير قابل للتنبؤ(ونفس الشيئ بالنسبة ما للعدو) وحتى المكان يمكن أن يتغير سواء بعوامل الطبيعة أو حتى تغيير مكان القتال ، ففي هذه الحالات يمكن لأي تغيير " مفاجئ" أن يغير المعادلة من النصر إلى الهزيمة أو من الهزيمة إلى النصر.

وبالتالي حتمية النصر أو الهزيمة بناء على " سببية " العناصر الخمسة الأساسية يصبح ضربا من المغامرة في مجال المجهول (كبعض الشموع التي يمكن أن تنطفأ لأي سبب من الأسباب كهبوب الرياح مثلا) ، و بالتالي من « الحكمة » الأخذ بعين الإعتبار عامل المفاجأة و التهيأ له بالبدائل مثلا ، ولكن و كأنه " يتفطن " لهذه النقطة أو " الثغرة " ليشير «بتعديل الخطط مع تغير الظروف المواتية و عناصر مساعدة » ، ولكن السؤال هنا إن حصل العكس (الظروف الغير مواتية و عناصر ليست مساعدة) ؟ فما العمل ؟

6) ولكن يبقى هذا المجهود (العناصر الخمس) هو أساس بنيوي في التخطيط لإضفاء نوع من اليقين في عتمة اللايقين (المجهول) و لتتناسل منها (أي العناصر الخمس) مبادئ أو تشريعات أو حتى قرارات أخرى .

ولو أنه يضيف عنصر «الخداع»، فيشير إلى أن «جميع الأمور المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع» فيستقي أبرز الوسائل معتمدا على مصطلحات مثل : تظاهر، يجب أن نبدو،اظهر.

7) اهتم سون تزو بالعامل الداخلي أو كل ماله علاقة بالجيش (أي العوامل الداخلية للجيش فقط) سواء للجيوش المحلية و حتى للعدو ، وقارن بينها لإستخلاص النصر من الهزيمة و لكنه أهمل الجانب الخارجي للمحيط العسكري أي البيئة في كل ماله علاقة بالدولة ، كالتركيبة المجتمعية سواء على المستوى المحلي أو حتى للعدو (المنظومة السياسة لكلا الطرفين،الإجتماعية، الإقتصادية ،العلاقة بالأجوار..الخ..) ، و بذلك يكون قد أهمل جوانب

أخرى مهمة في التقييم يمكن أن تخدمه في الحرب في علاقة بالبيئة نتيجة انغلاقه أو تركيزه فقط على محيطه العسكري أو على جزء من منظومة الدولة ككل .

و بالتالي « منظومة المعلومات » غير مكتملة ، لأنها تكاد تكون محصورة فقط في الجانب العسكري وحتى كل ماله علاقة بالعدو محصور في العناصر الخمس الأساسية للمقارنة فقط **(أنظر " الهيكل" في الصورة أسفله)**.

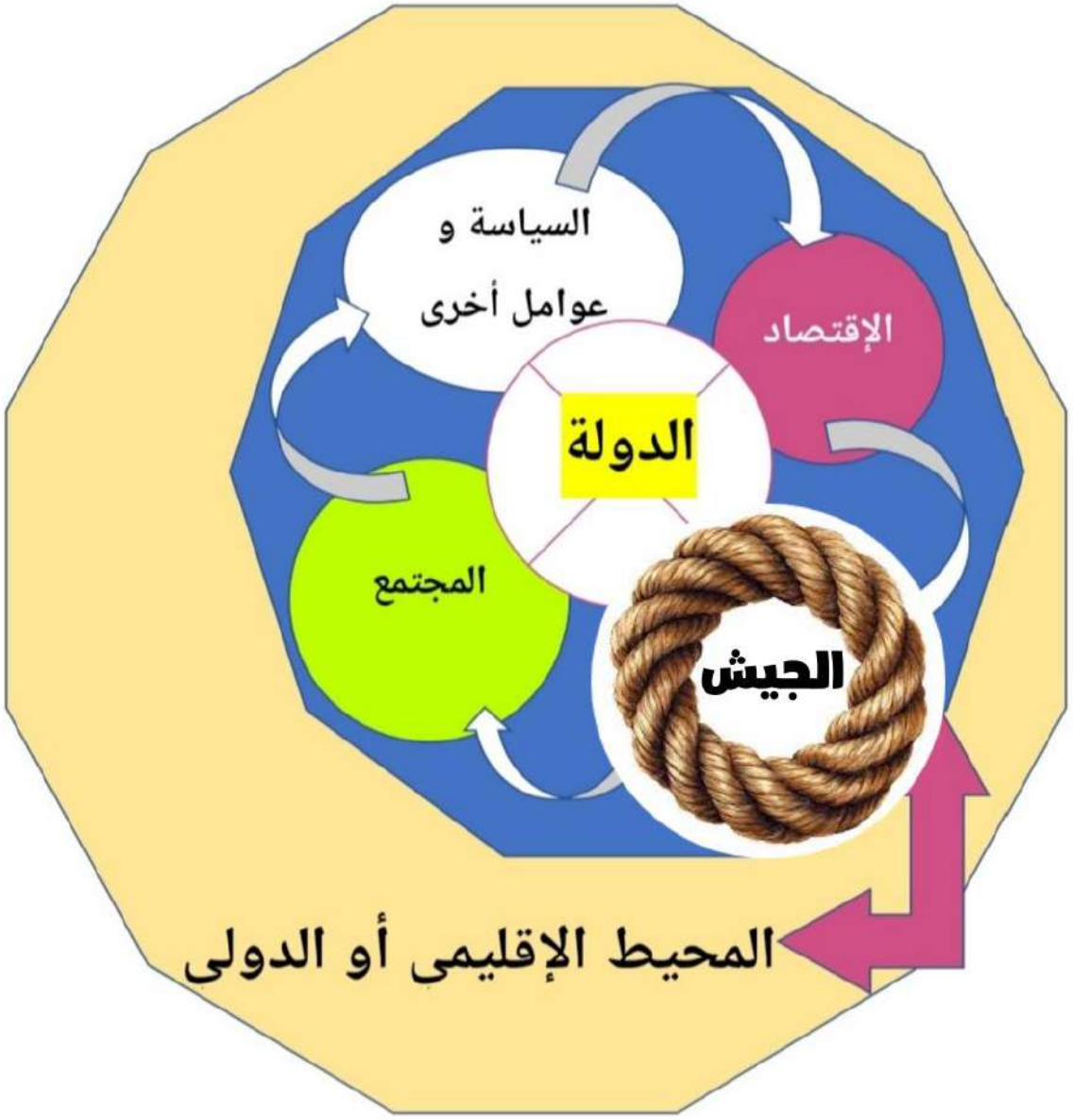

✓ وبالتالي تكون الخطة هنا أو التقديرات الأولية **خاصة** وليست **عامة** بإعتبار أنها لم تكن **نظرة شاملة** للأشياء بل **محدودة** أو **جزئية** ، وان لم يكن مطلوب من سون تزو ان يكون

سياسيا ولكن استشرافيا ، رغم أنه قال: «القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل بدء القتال ».

الفصل الثاني : شن الحرب

1) في الميدان تبرز الحرب كحركة ، فعل أوعمل(Action) و بالتالي « شن الحرب » يقتضي « خطة عمل (Action Plan) وهي إطار لخطوات ملموسة وقابلة للتنفيذ » وهو موضوع هذا الفصل.

2) وان أشار في هذا الفصل إلى بعض المعلومات التي كان من المهم أخذها بعين الإعتبار في الفصل الأول في إطار " منظومة معلومات " لتكون الرؤية أوضح في وضع الخطة أو التقديرات الأولية .

لذلك يستدعي النقائص أو الثغرات التي أشرنا إليها في الفصل الأول ليتفاعل معها عبر إعتماد منظومة معلومات أو قاعدة بيانات تقنية ، مالية (النفقات) وحتى اجتماعية للإحاطة بظروف خوض الحرب من ذلك التكلفة ليس على الجنود فحسب بل حتى على المجتمع (أو الشعب كما يقول).

فالتكلفة هنا ليست مادية فقط بل وكذلك معنوية وخاصتا على الجنود بإنهيار المعنويات مثلا كما أشار إلى ذلك في هذا الفصل.

3) يشير في هذا الفصل إلى " ديناميكية " الحرب في التأثير المتبادل (تتأثر و تأثر) بعوامل داخلية و أخرى خارجية كالإقتصاد و المجتمع.....الخ **(أنظر الصورة أدناه).**

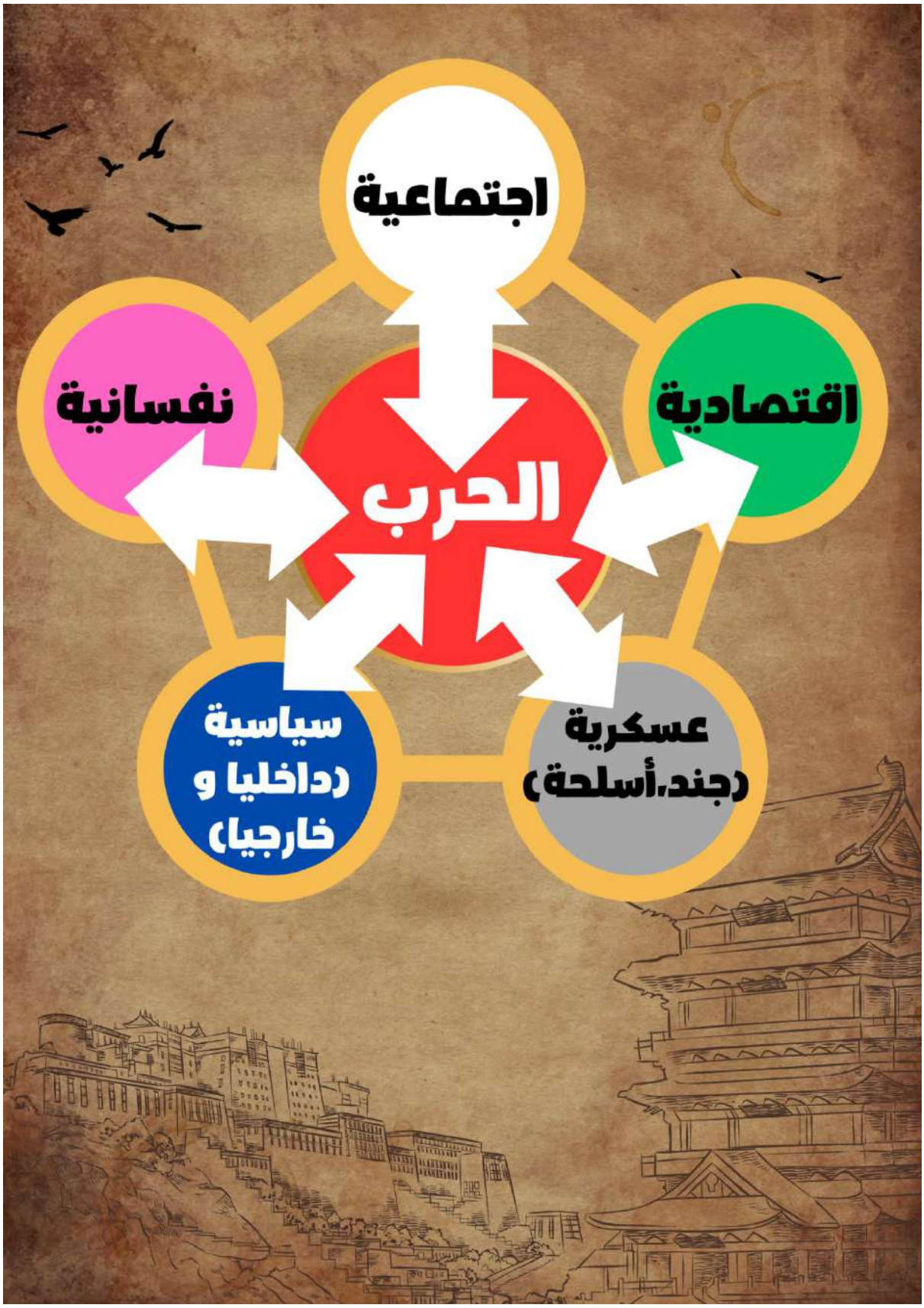

كما يشير سون تزو لبعض ظروف الحرب العسكرية و العوائق التي يمكن أن تحدث فتحول دون تحقيق النصر في حالات مثل ارتفاع النفقات العسكرية على الدولة إذا طال أمد الحملة

وأثرها على الشعب حتى على الجنود ، بالإضافة إلى أخطاء القادة ، ولو أنه يشير إلى إعتماده على العدو كمصدر للمؤونة (الغنائم) " ولكن هذا في حالات النصر فقط " .

4) كما يشير هذا الفصل ويؤكد ما أشرنا اليه في أن العناصر الخمس التي و صفها سون تزو بالثابتة في الفصل الأول وهي ليست كذلك (ليست ثابتة) من خلال بعض أمثلة في هذا الفصل :

- ❖ فإذا تأخرت بشائر النصر مثلا ، فستبدأ أسلحة الجنود تفقد دقتها ، وستنطفئ حماسة أولئك الجنود.
- ❖ وانهارت الروح المعنوية العامة ، وخارت قواك واستنفدت مواردك.
- ❖ وإذا كان النصر يمكن إحرازه ، فالتسرع الأحمق أفضل من التأني الماهر.

5) وكذلك يشير إلى نقطة مهمة أخرى في علاقة بالسياسة الخارجية في إطار العلاقات الدولية فيقول : « إذا خارت قواك واستنفدت مواردك ، فسيبدأ بقية الحكام المجاورين لك في التطلع لانتهاز فرصة تهورك وانهيارك ».

- ❖ وهنا إشارة إلى الأجواء أو العلاقات الدولية السائدة أنذاك و القائمة على الحيطة و الحذر والريبة و المبنية على الغدر والخوف و انتهاز الفرص.وبالتالي الدعوة إلى اليقضة في منظومة تفاعلات دولية يحكمها عامل " اللايقين " .

6) من خلال هذا الفصل يعترف سون تزو بطريقة غير مباشرة بهزيمته هو أو قادة آخرون في معارك أو حتى حروب وإلا ما كان حذر ونبه ونصح لتفادي بعض الأخطاء في هذا الفصل . فلا يمكن التعلم و أخذ العبر إلا من الأخطاء و الإخفاقات ، و التجارب الناجحة وخاصتا الفاشلة .

7) الحرب وعاملي الهجوم أو الدفاع **؟؟؟**

تقوم الحرب على عاملين أساسيين هما: الدفاع أو الهجوم ، في هذا الفصل لايشير لأي من الحالتين أو العاملين سابقي الذكر ولو حتى باللفظ ، ويقتصر فقط على ما بينهما من عوامل النصر أو الهزيمة أو الخسارة .

8) يشير إلى دور القائد المحوري في بقاء الدولة ككيان ، لذلك يعطي شروطا في شكل أوصاف لهذا القائد مثل : الحكيم،المخضرم ، ليربطه حتى بالأقدار، فيقول :« قائد الجيوش هو المتحكم في أقدار الشعب، فهو الرجل الذي يعتمد عليه ما إذا كانت الأمة ستعيش في سلام أم في خطر» .

وهو ما يحيلنا إلى ماسبق ذكره في الفصل الأول من عوامل ثابتة و ابرزها « القائد»، ولكن هذا الأخير هو بشر ينتصر ويهزم، يحيا ويموت ، فمحورية أو مركزية البقاء المرتبطة به (أي القائد) كثوابت دون المتغيرات ، تتنافى مع " التطور" كمنظومة تغيير و بالتالي مع الإستراتيجيا كرؤية.

الفصل الثالث : أسباب النصر و الهزيمة

1) في هذا الفصل يركز سون تزو على " مقترحات " لتحقيق النصر و الأخطاء التي تسبب الهزائم.

2) ليعطينا في هذا الفصل خمس أساسيات للنصر:

- ❖ معرفة توقيت القتال
- ❖ التعامل مع مختلف أشكال القوة
- ❖ وحدة الروح المعنوية للجيش
- ❖ تحقيق الإكتفاء الذاتي و اغتنام الفرص في الهجوم
- ❖ ثم الصلاحيات الكاملة للقائد دون سواه.

3) كما يشير الينا بالأخطاء الثلاث التي تسبب الهزائم من ذلك :

- ❖ قيادة الجيش بنفس طريقة حكم الدولة
- ❖ اعطاء الأوامر للجيوش لإرضاء الحاكم دون الإحاطة بظروفهم
- ❖ ثم الجهل بالأعراف العسكرية في التعيينات .

يقوم سون تزو عبر هذا التقسيم (أساسيات النصر و الأخطاء الثلاث للهزيمة)

« بالتحليل » ، وكأنه يحيلنا إلى « الفرص و التهديدات » أو بإستغلال الفرص و تفادي التهديدات.**(أنظر الرسم أدناه)**

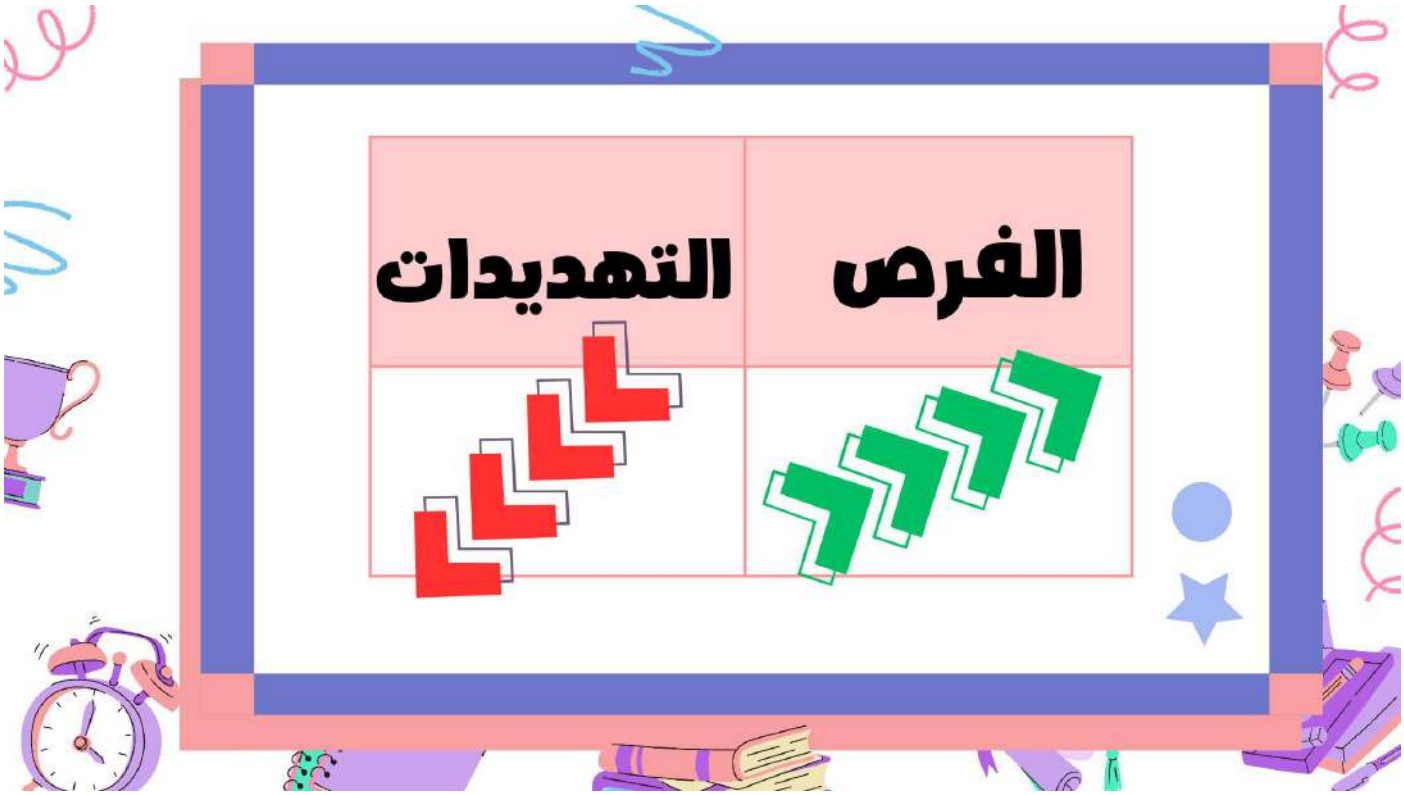

ففي تركيزه على النصر مثلا كان التركيز على :

- على صفات « القائد البارع » وفي ذلك إشارة إلى « مبدأ المسؤولية»
- وعلى طريقة الهجوم بالخداع وهي من بين أهم الأمور أو الوصايا التي أشار إليها سون تزو كذلك في الفصل الأول أن «جميع الأمور المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع (الحرب خدعة)» في الوصية 18 و الوصية 7 في هذا الفصل (طريقة الهجوم بالخداع).

4) ركز كذلك على نقطة مهمة بها يكون النصر أو الهزيمة ألى وهي « العامل السيكولوجي» الذي يبرز من خلال معرفة الذات و معرفة الآخر (العدو) ،كما قال : «إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك،فلا حاجة بك للخوف من نتائج مئة معركة ».وهنا نقطة أخرى في التحليل ولكن عبر « التحليل النفسي » .

5) في هذا الفصل يبرز سون تزو عاملين أساسيين للنصر أو الهزيمة ، هما الجانب المادي و الآخر المعنوي و بالتحديد « السيكولوجي » .

أمثلة التقسيم في الصورة أسفله

	النصر	الهزيمة
الجانب المادي	غنيمة المدن	الجيوش
الجانب المعنوي	الهجوم بالخداع	قلق الجيوش

❖ اعتماده وتركيزه على العاملين المادي و المعنوي متلازمين في ميدان المعركة هو حجر الأساس لتحقيق النصر كما هو السبب في الوصول إلى الهزيمة.

هذا الوعي الفائق يعكس ذكاء و دهاء سون تزو مما يمكنه من الخداع و من قهر العدو دون قتال ، و في " ذلك روعة الإنتصار" .

❖ وكأنه من خلال هذا الفصل يتدارك ما لم يركز عليه في الفصل السابق هو عاملي الدفاع و الهجوم ، فيقول: « الهجوم هو سر الدفاع ، والدفاع هو التخطيط للهجوم ».

6) وقد أبرز في هذا الفصل الجانب الإنساني ، وخير دليل على ذلك

❖ حديثه عن المحافظة على حياة الجنود حتى أسرى جيش العدو دون ابادته ، وكما قال: « التفوق الأعظم هو كسر مقاومة العدو دون أي قتال »

❖ والمحافظة على سلامة المدن التي يقع غزوها و خاصتا أهاليها أو سكانها ، وكما قال :أن « تغنم مدينة العدو كاملة وسالمة » ، و «إن الحفاظ على ممتلكات العدو هو أول ما يجب عليكم فعله» وفي ذلك حكمة ونبل يريد سون تزو أن يزرعهم في القادة، " ليصبح القائد سفيرا للسلام وهو على جواد الحرب" .

« Il assure le bonheur de ses compatriotes, et fait que l'Univers lui est redevable du repos et de la paix : tel est le but auquel tous ceux qui

commandent les armées doivent tendre sans cesse et sans jamais se décourager ».

إنه يضمن سعادة مواطنيه ، ويجعل الكون مدينا له بالراحة والسلام : هذا هو الهدف الذي يجب على كل من يقود الجيوش أن يسعى إليه باستمرار ودون أن يشعر بالإحباط أبدا.

(مأخوذ عن النسخة الفرنسية للكتاب لنفس الفصل)

الفصل الرابع : الترتيبات التكتيكية

1) في هذا الفصل يدخل سون تزو من الباب الذي فتحه في الفصل السابق وهو المدخل السيكولوجي « معرفة النفس و معرفة العدو» في علاقة بالنصر و الهزيمة ، و كما قال: « إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك فلا حاجة بك للخوف من نتائج مئة معركة » ، ليتدارك ولو نسبيا النقص الذي أشرنا اليه في تحليلنا للفصل الأول (وضع الخطط) أي بوجود نظام بدون منظومة معلومات .

2) حيث يركز في هذا الفصل على الترتيبات عبر التحركات أو المناورات التكتيكية لمعرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو (كنوع من الإستخبارات الخارجية) للإلحاق الهزيمة به و تحقيق النصر في المكان و الزمان المناسبين .
ليحصر التكتيكات في الدفاع و الهجوم كما يشير إلى ذلك قائلا :« اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية ، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة ».

وهنا التركيز كان على مهمة القائد بشكل خاص في معرفتة :

- " بنفسه " أي بإمكانياته وهنا يركز سون تزو على صفات القائد مثل البراعة و المهارة في الدفاع (في الدفاع يختبئ في سابع أرض) أو التمركز الجيد و الهجوم (ينقض كالبرق من أعالي السماء) .
- حماية نفسه ومن معه
- بإلتزامه بالقانون الأخلاقي و النظام العام
- حتى مستويات الخطأ لديه
- و كذلك و من جانب آخر معرفته بإمكانيات العدو (قدرته ،تحركاته، نقاط ضعفه وقوته ، الأماكن و الأزمنة.....) للمقارنة فيما بعد .

وقد وضع لهذه التكتيكات أطر معرفية من العناصر الخمسة لفن الحرب « في علاقة بمعرفة العدو» وهي في شكل :

- قياسات (المسافات)
- تقديرات (الكميات)

- ❖ حسابات (الأرقام)
- ❖ ومقارنات (القوى)
- ❖ احتمالات النصر (نتيجة المقارنة).

3) بما أن التكتيك هو المحرك الرئيسي لكل خطة استراتيجية « فالتكتيكات هي الإجراءات المحددة والخطوات الفورية التي ستساعد في تحقيق تلك الخطة » وبها يستشرف النصر بناء على وتد رئيسي ألى وهو « نظام المعلومات » القائم بدوره على الترتيبات .

(أنظر التوضيح و الصورة أسفله)

1- الترتيبات= (التحركات+ جمع المعلومات+ الصفات القيادية للقائد) × أطر معرفية من العناصر الخمسة لفن الحرب .

2- نظام المعلومات= الترتيبات

3- التكتيكات= الهجوم أو الدفاع

« ils donnaient bataille ou ils se retranchaient, suivant les lumières qu'ils avaient, tant sur l'état de leurs propres troupes que sur celui des troupes de l'ennemi »

« خاضوا المعركة أو تحصنوا، حسب المعلومات المتوفرة لديهم، سواء عن حالة قواتهم أو عن حالة قوات العدو» .

(عن النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

4) في هذا الفصل يخص سون تزو القائد بمسؤولية النصر و الهزيمة (وهذا صحيح إلى نوع ما) ، بل أكثر من ذلك يختزل النصر في شخص القائد فيقول :« وبالتالي تجلب انتصاراته له السمعة الطيبة نتيجة حكمته الواسعة ، وتجلب له التقدير على شجاعته » ، ولكنه لا يشير إلى المسؤولية المشتركة ويحصر القائد في ركن « عدم ارتكابه لأي خطأ هو ما يؤسس لتأكيد النصر» ، فكيف يكون ذلك (أي عدم ارتكاب الخطأ) دون تشريك أو الإنفتاح على الآخرين (جنود، قادة ، خبراء ، مسؤولين...) معه في الإستشارة ؟

وإن إستأنس سون تزو بتجربة القدامى (المقاتلون القدامى) مما يعني التقليد والخبرة دون الإستشارة والتجديد وهو ما سيدخلنا في جدل حول أهمية المعلومة أي فاعليتها ومردوديتها و تطبيقاتها، و بالتالي بدون معلومة صحيحة و محينة لن يكون هنالك تكتيكات فعالة و بالتالي لا استراتيجيا فعالة .

فمسؤولية النصر و الهزيمة المحصورة في مركزية شخص القائد فقط في هذا الفصل تبدوا مبالغ فيها ، لأن معرفة العدو تأتي مع معرفة النفس و في هذه الأخيرة الإمكانيات ليست محصورة في مواصفات القائد القيادية فقط بل كذلك في الجنود و العتاد وكل ماهو مادي و كذلك معنوي ،مما يقتضي الحوار و التشاور مع الآخر.

الفصل الخامس: الطاقة أو القدرة

1) يخبرنا سون تزو في هذا الفصل عن الطاقة الكامنة في الإستراتيجيا العسكرية فيقول : « يمكن تشبيه الطاقة (القوة) بشد القوس من أجل إطلاق السهم » ، و كقوة متعددة الأوجه و الأشكال لتمتد هذه الطاقة :

- ❖ من طريقة تنظيم الجيوش
- ❖ إلى القائد (الإنظباط و الحضور الذهني و الجسدي) وحتى الجنود (الرجال المقاتلين البواسل)
- ❖ كذلك في القرارات المتخذة فيقول : « تشبيه القرار بلحظة ترك القوس لينطلق في اتجاهه الذي حددته له »
- ❖ وصولا إلى اللعب على « أوتار الجدلية » عبر المتناقضات المتكاملات (الهجوم المباشر والغير مباشر، الإنظباط وراء الفوضى الظاهرة ، القوة وراء الضعف وصولا إلى تحقيق نتائج كبيرة عن طريق قوات صغيرة)
- ❖ وحتى " الإختلاف من أجل الإئتلاف " (خمس علامات موسيقية ، خمسة ألوان أساسية ، خمسة نكهات أساسية) .

2) أنطلاق الطاقة في شكل أفعال أو تصرفات ووقائع مادية في الحرب ، هو مثال للصراع والتفاعل بين الأضداد الذي هو محرك التغيير والتطور في الطبيعة والمجتمع والفكر ، مثال الطاقة (اليانغYang) و المادة (الينYin)

(أنظر التوضيح في صورة "الجدولة" أسفله) .

جدلية الأضداد

الطاقة	القوة	المادة
الروح	العقل	الجسد
السلام	الفن	الحرب

3) من " الدهاء العسكري " استغلال الطاقات الكامنة متعددة الأوجه في ميدان المعركة لتظليل الفارق واكتساب نسبة أو حظ أوفر لضمان النصر، فهي عبارة عن « قوة دفع » وهي صمام الأمان لكل استراتيجيا تعتمد تكتيكات مثل « التظليل أو الخدعة » مثلا ، و لأن الطاقة في حد ذاتها كمصطلح هي مركب جدلي (تتركب من أضداد) : فهي في نفس الوقت غاية مثل ما هي وسيلة .

(أنظر الصورة أسفله)

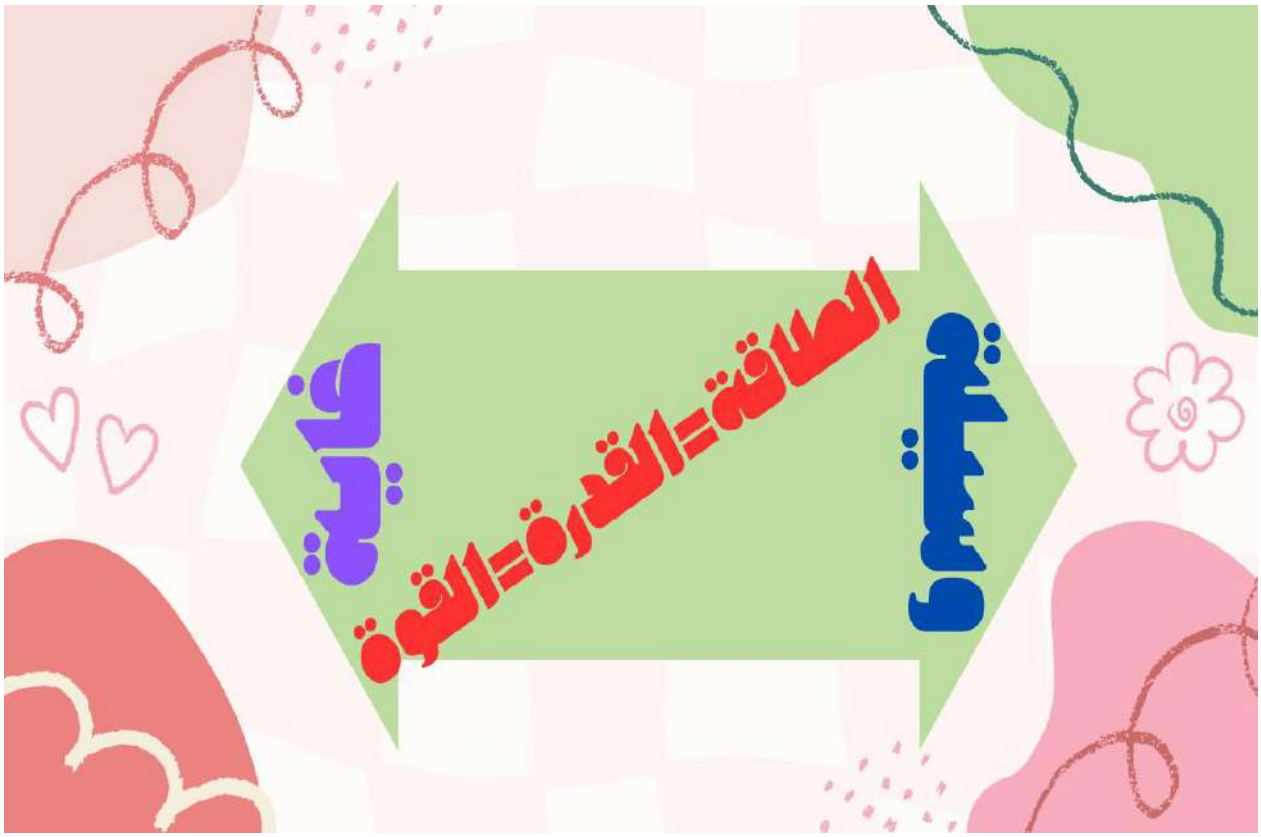

4) من الممتع أن تجد في هذا الفصل مصطلحات و عوامل طبيعية (الحجر،الجبل، السماء والأرض،الشمس والقمر،الأنهار والعيون)، إلى جانب حضور فنون مثل الموسيقى ، الرسم وحتى الطبخ ، و ليعتمد التشبيه الرمزي أو السيميولوجيا (علم الدلالات) للدلالة أو لإبراز الطاقة لدى الجنود مثلا فيقول : « فإن الطاقة التي تنجلي من خلال الرجال المقاتلين البواسل ، هي مثل القوة الدافعة التي يكتسبها الحجر الدائري الصغير المتدحرج من قمة جبل يرتفع آلاف الأمتار ».

وكأن سون تزو يريد أن يحيلنا إلى أن الجانب الروحاني الجمالي (الاستيطيقا (Aesthetics) الموجود بقوة في هذا المزيج (الطبيعة، الموسيقى، الرسم ،الطبخ) "المنظوماتي" أو ما سميته " بالطاقة الأم" التي من خلالها تستمد بقية الطاقات القدرة أو القوة **(أنظر الصورة أدناه)**،

وما يسميها الصينيون Taoالطاو[2] هو " أم العالم " ، المبدأ الذي يولد كل ما هو موجود، والقوة الأساسية التي تتدفق عبر كل الأشياء في الكون.

5) يحيلنا سون تزو عبر هذا الفصل إلى أن الطاقة مستوطنة أو مستبطنة في كل ماهو مادي وحتى معنوي أو روحاني : الجنود،شخصية القائد، طريقة التنظيم ، الجدلية، القرار، الطبيعة ، الجمال... الخ **(أنظر الصورة أدناه) .**

[2] الطاو أو الطاوية هي إحدى الفلسفات والديانات الصينية القديمة التي تأسست على تعاليم الفيلسوف الصيني **لاو تعني "الطريق" أو "المسار"، وتُعتبر المفهوم الأساسي في هذه الفلسفة، حيث تشير (Tao) "تزو" . كلمة "الطاو إلى المبدأ الكوني الذي يحكم كل شيء في الوجود .**

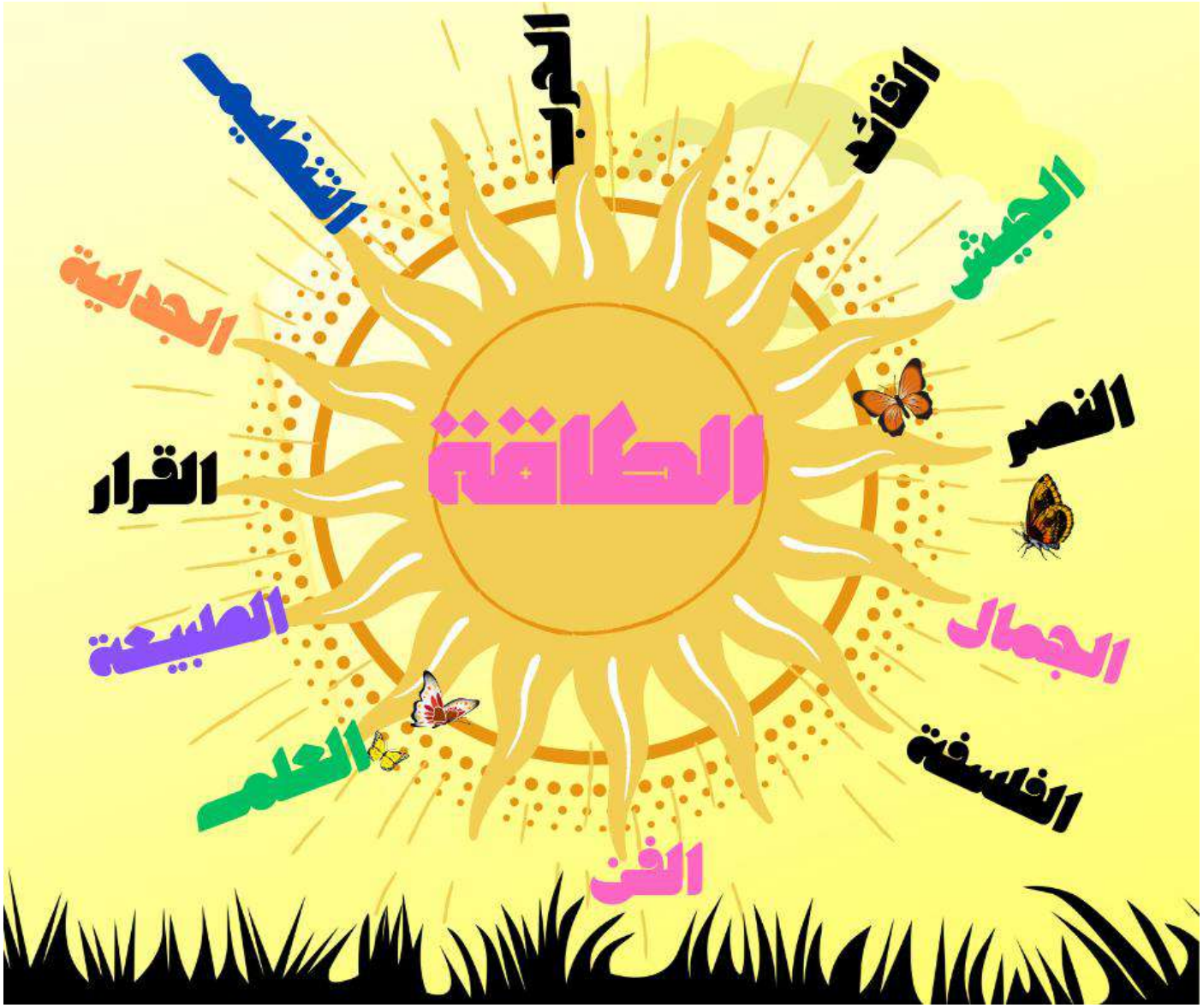

6) أصبح العلم اليوم يتحدث عن الطاقات الأحفورية مثل البترول والغاز، الطاقات البديلة أو المتجددة مثل الشمس و الرياح ، وحتى الحالات النفسية وما يعرف بالطاقات أو الذبذبات الإيجابية و السلبية ، وصولا إلى طاقة أو قانون " الجذب " (ما يربط المجال الطاقي " الكوانتي" للإنسان بالمجال الطاقي الكوني) ، وحتى **المشاعر هي في حد ذاتها طاقة ، حيث أصبحنا اليوم نتحدث عن " الذكاء العاطفي" .**

(أنظر الصورة أدناه)

كما تظهر معادلة أينشتاين $E=mc^2$ أن المادة والطاقة هما شكلان لنفس الشيء ويمكنهما التحول إلى بعضهما البعض.

بالإضافة إلى أنه ما يعرف بالفراغ في فيزياء الكم، هو ليس ال "لا شيء" بل هو بحر من الطاقة يعرف باسم طاقة الفراغ أو طاقة نقطة الصفر.

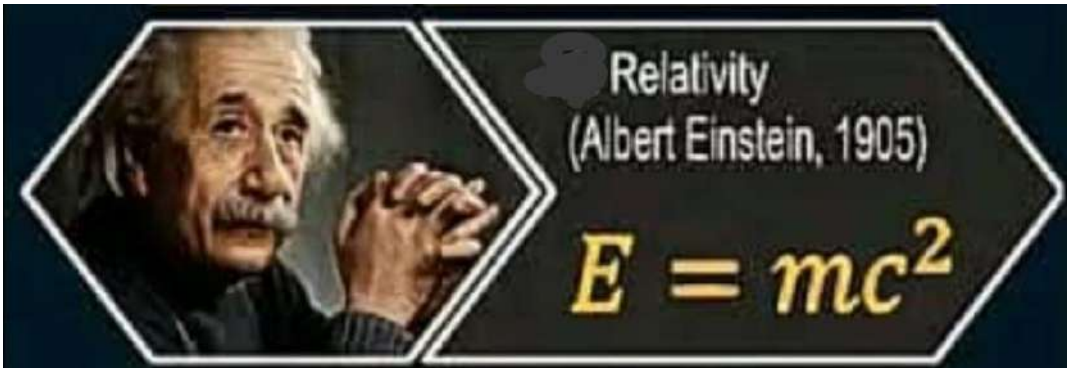

7) اليوم أصبحت المعلومة لا تساوي القوة، بل هي القوة ذاتها.

الفصل السادس : نقاط القوة و الضعف

1) يقوم هذا الفصل على الثنائية : نقاط القوة و الضعف ، وهو منهج مهم في التحليل الإستراتيجي ، وإن امتد حديثا إلى ثنائيات أخرى كالمركز والهامش، الكينونة و العدم ، الفرص و التهديدات ، الإيجابيات و السلبيات و حتى التأثر و التأثير، الداخل و الخارج....الخ ، يستخدم إلى اليوم في مقاربات مثل :

2) يستعرض هنا سون تزو نقاط القوة و الضعف المرتبطة بحسن التمركز أو بالأسبقية في " الإستحواذ " على الميدان و بالتالي السيطرة وفرض الرغبات والشروط ، كما قال :« يفرض المقاتل الماهر رغباته على العدو» (و ما الحرب إلا صراع رغبات) ، مما يعزز التفوق النوعي قبل الكمي ، وهو ما يمكن من الإستعداد الجيد للقتال .

3) فالتمركز هو التموقع،المسح (Scanning) الجغرافي ، مراقبة تحركات العدو و مناوراته و بالتالي جمع المعلومات و من ثمة السيطرة على عاملي الزمان إلى جانب المكان ، مما يمكن من وضع الأسس للتخطيط المحكم .

أما الإستعداد هو " حالة استباق " نفساني و فكري (التهيأ) ومادي (تقني مثلا) قبل العملي ، و هوالتحضير للتحكم الجيد في تكتيكات الهجوم و الدفاع بل و فرضها على العدو .

4) وإن كانت هذه العوامل مختلفة (القوة و الضعف) إلا أنها متشابكة و متكاملة لا يستقيم التخطيط فيها إلا بوحدتها (أو اتحادها) والتي تفضي لنظرة شاملة لتحقيق ما سماه « الاستراتيجية التي يأتي النصر من خلالها » .

5) يركز سون تزو في تكتيكاته على صفات القائد القيادية (الماهر....)، ونقاط القوة و الضعف لدى الطرفين (بناء على المقارنة) ، ولكن ما يستمد منه قوته بالفعل هو عناصر الطبيعة أو الطاقة الكامنة فيها ، فالحرب تحكمها ديناميكية مثلها مثل كل شيء في الطبيعة و قد أشار إلى ذلك في عديد المناسبات :

- ❖ التكتيكات العسكرية تشبه الماء كثيراً : المرونة
- ❖ العناصر الخمسة (الماء ، النار و الخشب و المعدن و الأرض) : لا تهيمن أو تسود بشكل منتظم
- ❖ الفصول الأربعة : التعاقب
- ❖ ....الخ

و بالتالي عامل التأثر (بالطبيعة) للتأثير موجود هنا .

وبناء على هذا التأثر و التأثير(بعامل الطبيعة) يخرج بنا سون تزو على عكس ماهو سائد أو متعارف عليه في أوساط الحرب أي بضرب نقاط قوة العدو، هنا يقترح العكس أي ضرب نقاط ضعفه فيقول :« الطريق السديد هو أن تتجنب نقاط القوة وأن تضرب ما

هو ضعيف »، مقتديا في ذلك بالمياه التي « تحدد مسارها وفقاً لطبيعة الأرض التي تنساب فوقها » .

- ✓ يجمع الماء بين طبيعة الين واليانغ (Yin,Yang) فهو قد يكون هادئا وباردا (الين) ، وقد يتدفق بقوة وعنف (يانغ . (

- ❖ وكمثال حديث ، في إطار " ديالكتيك الطبيعة " : كما أشار لذلك حديثا « فريدريك انجلس» في كتابه (ديالكتيك الطبيعة) التي هي كذلك في إطار « الرؤية المادية الديالكتيكية (الجدلية) » لإنجلس و ماركس .

6) في هذا الفصل يركز سون تزو على النصر دون الأخذ بعين الإعتبار الهزيمة و مآلاتها ، وكأن التكتيكات تضمن " حتمية النصر" « بعد تعديلها (أي التكتيكات) بناء على الخصم» كما يقول .

وان شابه تعديل التكتيكات مثل التحولات و التغيرات التي تحصل في الطبيعة ، فرغم أنه يعرف جيدا أن عوامل الطبيعة التي استشهد بها ليست ثابتة بل هي متغيرة إلا أنه لم يدرك أن النصر كذلك غير ثابت بل هو متغير (الهزيمة) رغم التعديل سابق الذكر .

الفصل السابع : المناورة

1) في افتتاحية هذا الفصل يشير سون تزو إلى أنه : « في الحرب ، يتلقى القائد العسكري أوامره من الحاكم » ، في هذه الجملة يحملنا إلى رحاب « الفلسفة السياسية، في العلاقة بين الدولة و الحرب والسلطة ».

- ❖ وردت في هذه الجملة ثلاثة كلمات مفتاحية :

الحرب ، القائد ، الحاكم

« فن الحرب ذو أهمية حيوية للدولة » كما أشار إلى ذلك سون تزو في الفصل الأول .

و الحاكم هو المشرف المسؤول وصاحب السلطة الأول في الدولة بما في ذلك على الجيش و بالتالي قرار الحرب .

أما القائد العسكري فمهمته الإشراف و التنظيم و قيادة الجيش بأوامر من الحاكم

- ❖ ففي هذه الجملة أكثر من تراتبية هرمية قيادية بل هي فلسفة سياسية في الحكم أو في " حوكمة " الشأن العام ، تقوم على تنظيم هيكلي ، وإن كان سون تزو لم يفصح على تفاصيل سياسية أساسية أكثر.
- ❖ وكأني هنا و عبر هذه الجملة أستحضر مقولة « لكارل فون كلاوزفيتز» وهو أشهر منظري الحرب في العصر الحديث عندما قال عن العلاقة بين السياسة والحرب : « الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى » .

2) يؤكد سون تزو على أهمية المناورة كتكتيك في الحرب فيستعمل مصطلحات مثل الخداع ، المراوغة ، الإختفاء وراء المظاهر، ولكن مع ذكر مزاياها (أي المناورة) يؤكد في نفس الوقت بل يحرص على التذكير بسوء اعتمادها أو الخطأ في استعمالها ومدى صعوبتها « في المسافات الطويلة مثلا » وحتى في حالة حصار جيش كما قال : « وجب ترك مخرج للعدو المحاصر » ، و بالتالي هي حمالة أوجه ، لذلك يؤكد على دور القائد في معرفة الأرض أو التضاريس وتحويل مزاياها لصالحه (في إشارة إلى نظام معلومات).

3) يستعين سون تزو بتشبيهات لإعتمادها في تكتيكات القتال مستوحات من الطبيعة لضمان الفاعلية وحتى " الرشاقة " في التحركات أو المواجهة العسكرية و بالتالي " حوكمة القتال" ، وكأمثلة :

- ❖ كن مثل الريح (السرعة)
- ❖ كن محكما مثل الغابة (التشابك مع التنظيم)
- ❖ كن مثل النار الملتهبة (الحرارة ، الطاقة أو القوة و القدرة)
- ❖ مثل قطع الليل المظلم (التخفي ،عدم الرؤية ، الغموض)
- ❖ ...الخ) .

4) يستعمل سون تزو في هذا الفصل العامل النفسي (السيكولوجي) لترجمته إلى مادي محسوس . فالمناورة هي فن الخداع و المراوغة وهي عوامل أو "تقنيات" « **في شكل حرب نفسية** » يترجمها في ساحة القتال بتكتيكات مادية ملموسة في المواجهة عبر الجيوش، التضاريس ، الترتيبات ، التحركات،...الخ، وكأنه يحول سلاح غير مباشر (نفساني " سيكولوجي " أو معنوي) إلى مباشر (مادي) ليصل إلى تكامل القوتين عبر المواجهة غير المباشرة والمباشرة

- بل أكثر من ذلك يشمل التعامل المباشرة وغير المباشر للقائد مع الجنود عبر الرايات أو الأعلام أو دق الطبول مثلا كإشارات أثناء المواجهة أو القتال ، وفي نفس الوقت هذه الآليات (الأعلام و الطبول) في استعمالها ليلا أو نهارا ، هي وسائل للمناورة كتكتيك معنوي سيكولوجي كمواجهة غير مباشرة لإبراز القوة و شجاعة الجنود و إرباك العدو و بث الرعب فيه .

(أنظر الصورة أدناه) .

مواجهة غير مباشرة
مواجهة مباشرة

« Le fracas d’un grand nombre de

tambours servira pendant la nuit autant à jeter l’épouvante parmi vos ennemis qu’à ranimer le courage de vos soldats».

« إن قرع عدد كبير من الطبول أثناء الليل سوف يعمل على بث الرعب بين أعدائك كما أنه سوف ينعش شجاعة جنودك ».

(مأخوذ عن النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

5) وكأنه يرشدنا إلى ما يعرف اليوم " بفن التخاطر" أو قرائة الأفكار بغية التأثير في الطرف المقابل (العدو) و بالتالي التموقع عبر عملية المناورة التي تقتضي كذلك الإنفتاح على الآخر سواء :

- ❖ بالتحالفات مثلا كما يقول : « لا يمكننا الدخول في تحالفات قبل أن نكتسب خبرة بطبيعة تضاريس جيراننا من الدول والمقاطعات المجاورة »
- ❖ أو حتى بالمشورة كما يشير:« لن نصبح قادرين على أن نحول المزايا الطبيعية لمصلحتنا ما لم نستفد من المرشدين المحليين».

6) في تعريفنا للمناورة نقول : هي " تكتيك التكتيكات في القتال أو المواجهة " وهي فن الخروج عن المسارات أو التوجهات أو المواقف العادية أو المتوقعة أو

" الحتمية" ، وبالتالي انتقال المواجهة غير المباشرة الى مباشرة ، عبر استغلال الفرص أو التواقيت أو الفجوات وحتى اللعب على المتناقضات وكما قال سون تزو:« تحويل المخادع المراوغ غير المباشر إلى مباشر، وتحويل ما هو ضدك لكي يعمل لصالحك » .لتترجم المناورة إلى طرق أو أساليب أو حيل مثل الخداع ، المراوغة والاختفاء و التضليل لتسلب الطرف المقابل إما الأولوية أو الميزات ، للوصول إلى الغايات أو الأهداف المأمولة ، و بالتالي تحويل " امكانية " الهزيمة إلى نصر أو المستحيل إلى ممكن.

و كما أشار لذلك سون تزو في قوله :

« Celui qui connaît l’art de l’approche directe et indirecte sera victorieux. Voilà l’art de l’affrontement ».

« من يتقن فن المواجهة المباشرة وغير المباشرة، سينتصر. هذا هو فن المواجهة » .

(مأخوذ عن النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

7) وقد تجاوزت المناورة اليوم حدود الحرب التقليدية لتمتد إما للسياسة أو للدبلوماسية ، أو حتى في المخابرات لتمتد كذلك حتى في الحياة العادية للفرد كما ذكرنا سابقا عبر المظاهر مثلا ، والتي يمكن تعلمها (المناورة) حتى من عناصر الطبيعة .

8) وكما قال :«سيقهر من تعلم براعة ومهارة الخداع بالمظاهر، فهذا هو فن المناورة ».

الفصل الثامن : المتغيرات التسعة

1) يعيد سون تزو ما ذكره في مستهل (بدء) الفصل السابق على تلقي القائد أوامره من الحاكم ، وكأنه يشير إلى ترتيب هرمي في اتخاذ قرار الحرب ، و يؤكد على أن القائد هو موظف دولة وإن كان ذو رتبة عسكرية سامية (قائد) و هو مسؤول بذلك على أمن الدولة ، وكأنه كذلك يشير إلى أهمية الحرب لبقاء الدولة من خلال مصدر اتخاذ القرار.

2) في هذا الفصل يأخذنا سون تزو إلى عالم الإستشراف أو التنبأ بالمستقبل وكما يقول : «يعلمنا فن الحرب ألا نعتمد على فرضية عدم هجوم العدو، بل أن نجهز أنفسنا لملاقاته » ، فالإستشراف هو عملية استكشاف ثم بناء(إستباق).

3) لفهم هذا الفصل ، وجب قبلا فهم بعض المصطلحات **(أنظر الصورة أدناه) .**

المتغيرات التسعة في هذا الفصل هي عبارة على الظروف أو الحالات أو السيناريوهات التسعة المتوقع أن يتعرض لها القائد و التي تلزمه على التغيير عبر آلية التكيف أو تنويع

التكتيكات أو المناورة و التأقلم ، كما أشار لذلك بالقول :« تنويع التكتيكات الحربية حسب المتغيرات التسعة » .

هذا الفصل عبارة على درس في إستباق الأحداث (تصور حدوثها فعلا و التهيأ لها).

إذ يمكن تفسير المتغيرات التسعة ، على أساس ثلاثية

(AAA^3) كما ارتأينا من خلال اجتهادنا في ذلك :

- التنبؤ
- التبني
- الحركة أو الفعل

(أنظر الصورة أدناه)

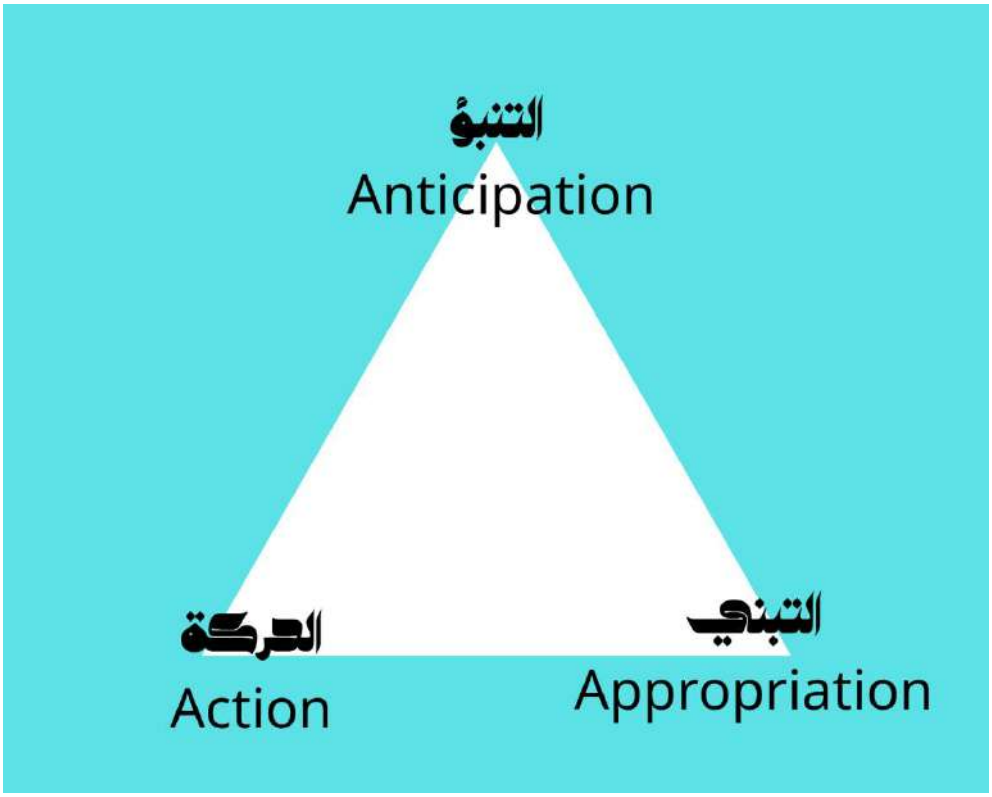

[3] **The triptych "Anticipation-Appropriation-Action" in foresight has its origins in what is known as the "Greek triangle".A concept of strategic foresight.**

Anticipation-Appropriation-Action", that is to say "anticipation for action via Appropriation"

فالتنبؤ هو التفكير في الاحتمالات أو الفرضيات المستقبلية ، ولكن التبني هو التزام الجهات المعنية (القائد مثلا) بالتغيير ، أما الفعل أو الحركة هو تنفيذ التكتيكات لتحقيق الأهداف المحددة في الإستراتيجيا .

✓ ملاحظة : سوف نكتفي هنا فقط ببعض المتغيرات في شكل أمثلة

" لإستقراء" (ننطلق من الجزء إلى الكل) الحكمة في الكل .

(البقية5-9، أنظر كتاب « فن الحرب» من هذا الفصل)

1 - **التنبؤ** (استباق الأحداث): الحالات أو الظروف التي تقتضي التغيير و منها (أمثلة) :

- ❖ عندما تخوض في أماكن صعبة مستنقعية
- ❖ في بلد تتقاطع فيه الطرق الواسعة
- ❖ إذا كنت في موقف يائس في أرض الموت
- ❖ عندما ترى الطريق الصحيح .

2 - **التبني** " لفكرة أو إرادة " التغيير

- ❖ تغيير إما في المواقف
- ❖ أو موقع أو وضع الجيش
- ❖ في الهجوم أو الدفاع
- ❖ تبني تغيير التكتيك حتى و ان اقتضى ذلك عدم إطاعة أوامر الحاكم.

3 - **الحركة** (Action) أو فعل التغيير، تغيير التكتيكات عبر التكيف أو التأقلم و المناورة (بناء على الأمثلة السابقة)

- ❖ مكان لا تنصب معسكرك فيه.
- ❖ اتحد مع حلفائك
- ❖ لا تتسكع في أماكن خطيرة
- ❖ توجد أوامر للحاكم يجب ألا تطيعها

4) كما يشير في هذا الفصل إلى أن هزيمة الجيش ومقتل قائده ، فحتما السبب لن يخرج عن هذه الأخطاء الخمس :

- ❖ الطيش
- ❖ الجبن
- ❖ حدة الطباع
- ❖ الحساسية المفرطة تجاه الشرف و الصمعة
- ❖ ثم القلق المفرط

ودعى سون تزو إلى جعل هذه الأخطاء محل تأمل وتفكر وتدبر.

- في هذه الأخطاء الخمس سالفة الذكر للقائد لايمكن أن تكون إلا في شخص

" عديم الخبرة " كما وصفه : « طالب الحرب غير المتمرس في فنونها الخاصة بتغيير الخطط » و نادرا ما تكون (هذه الأخطاء) في خبير ذو تجربة ، و قد أشار إليه في مناسبة أخرى بالقول : « قد يكون عالما بتضاريس البلاد، لكنه لن يتمكن من من تحويل هذه المعرفة إلى فائدة عملية » ، و بالتالي يحيلنا سون تزو إلى عامل الخبرة في القيادة (القائد الضليع ، الحكيم) .

5) وعي سون تزو " بحتمية التغيير" كمسار في عملية البناء و الإستعداد للمستقبل عبر التكيف و التأقلم ، هو منظور وجودي مرتبط " بحتمية البقاء " و بالتالي « التطور» (من منظور فيزيولوجي أو بيولوجي)، وكذلك يحيلنا إلى ما يعرف باليوم « بالمرونة Resilience » كمصطلح سيكولوجي أو نفساني (قدرة الشخص على التكيف والتعافي واستعادة توازنه بعد مواجهة الصعوبات) .

فالحرب ميدان قتال و البقاء فيه ليس للأفضل (بدنيا و عتادا...) أو الضليع فقط ، بل أكثر من ذلك من يتكيف مع الظروف ، وهو مايعيدنا مرة أخرى لفلسفة أو ديناميكية الطبيعة (التي تأبى الفراغ) والتي دائما ما يستلهم منها سون تزو أفكاره ،و كأنه يحيلنا لمصطلح حديث أي « **مبدأ الإنتخاب الطبيعي بالنسبة للأفراد " الأقدر على البقاء من الآخرين" و الذين يزيد احتمال بقائهم ليصل حتى إلى الهيمنة نتيجة نمط سلوكهم وفكرهم ».**

6) وإن حصر سون تزو التغيير في متغيرات تسعة هامة وعامة وذلك نتاجا لخبرته أو مستوحات من أسلافه ، وهي في الأصل خطط بديلة لسيناريوهات ممكنة ، لذلك تبقى" نسبية

"، بما أنها ستعاني مشكل تبني التغيير من قبل القادة ، و لأنها مرتبطة بظروف ما، فما قام به هو عملية بناء أو استشراف للمستقبل اعتمادا على سببية ارتباطه بأحداث الماضي و الممتدة في الحاضر ، ولكن فما العمل لو تدخل القدر و حدثت غيرها بالمستقبل ، لذلك وجب الأخذ بعين الإعتبار الصدفة (Si, par hasard..) الى جانب الضرورة أو الحتمية ، فالمستقبل يبقى دائما « فضاء اللايقين» .

(أنظر الصورة أدناه)

7) ونفس الشيء بالنسبة للأخطاء الخمسة للقائد فهي نسبية و متغيرة تغير ظروفها فهي حمالة أوجه ، فالطيش أو التهور يمكن أن يأخذ على أنه شجاعة ، و الجبن يمكن أن يفسر على أنه مناورة ...الخ . أصلا في تغيير التكتيكات تصبح الثوابت متغيرات.

8) تغيير التكتيكات يمكن أن يؤدي إلى تغيير الإستراتيجيا في حد ذاتها.

For
Change
التنبؤ = التغيير = التكيف =التطور= البقاء = الحياة

الفصل التاسع : التحرك بالجيش

1) في التحرك بالجيش على الأرض أو في" الجغرافيا الطبيعية " بمعناها الشامل أي التضاريس (الجبال والوديان والأنهار والبحار والمحيطات)،المناخ ثم الغطاء النباتي والحيواني ، يحيلنا سون تزو في هذا الفصل إلى ما يطلق عليه اليوم ب

" الجيوستراتيجيا " أي التداخل المباشر بين العوامل الجغرافية (الطبيعة مثلا) والعوامل الاستراتيجية (القوة العسكرية مثلا) .

2) هذا الفصل يحتوي على تفاصيل دقيقة لتدابير عسكرية ميدانية لتحرك الجيوش ، تقوم على معرفة شاملة " كأساسيات للبناء" بأهم الأماكن في علاقة بالإحتياجات أو المتطلبات العسكرية :

- ❖ في الأماكن يذكر : الجبال، الأنهار، المستنقعات، الأراضي المنبسطة ، التلال والهضاب برك مياه...
- ❖ من هذه الإحتياجات يذكر :

- **لضرب (إقامة) معسكرات الجيش** (في مواقع استراتيجية كالأماكن العالية مثلا)
- **لعبور القوات**

- **مراقبة تحركات العدو**
- **الإحتياطات أو التدابير الواجب اتخاذها للهجوم**

3) التحرك يعني التنقل من نقطة لأخرى , من مكان لآخر بين نقيضين « المجهول و المعلوم » ، و من حالة لأخرى و من ظروف لأخرى ومن قياس لآخر، ومن تقدم لتأخر، بما فيه من معلوم و كذلك الصدفة أو الحظ (المجهول) ، وكأن سون تزو يأخذنا في " مغامرة " عبر التحرك بالجيش .

4) يخرج بنا في هذا الفصل من اليابسة (البر) إلى المياه (الأنهار مثلا) ليتعامل معها بنفس طريقة أو بتكتيكات مشابهة للبر(أرس سفنك في مكان أعلى من العدو) .

5) يحيلنا هذا الفصل إلى « الجيوستراتيجيا » أو المسح (تمشيط) الشامل للجغرافيا لبناء إستراتيجيا فعالة للدولة ، و التي أخذت بعين الإعتبار في هذا الفصل جوانب عدة إلى جانب العوامل الطبيعية (الجغرافية) و التي شملت التدابير الوقائية أو ما يعرف اليوم بمفهوم « اليقضة » و بالتالي العوامل الإستباقية أو الإستشرافية ، و التي تشمل عوامل :

- ❖ مادية: الحالة الجسدية للجيش (معاناة الجيش من العطش الشديد...) وتحركاتهم (المناورات مثلا) .
- ❖ معنوية (إنسانية) مثل حماية الجنود من الأمراض والجوع و العطش بما في ذلك الإحاطة النفسية بهم ، وكما قال سون تزو :« لذا يجب معاملة الجنود في المقام الأول بإنسانية ، فهذا هو السبيل للانتصار» .
- ❖ تنظيمية مثل الطاعة (الإنظباط و النظام وكذلك الثقة)، مع إبقاء الجنود تحت السيطرة (باستخدام النظام الصارم) .
- ❖ وحتى علمية ، وكما قال :« إذا كنت تهتم لشؤون جنودك ، فستعسكر فوق أرض صلبة، وبذلك لن تنهك الأمراض الجيش، وهذه هي بداية النصر.»

6) المعرفة (الخبرة) هي من أهم من صفات القائد في هذا الفصل ، لذلك يشير سون تزو إلى نعت القائد « بالماهروالمخضرم » ، يحيلنا ماذكرناه إلى معطى مهم يجب أن يتحلى به القائد مع الجيوش وحتى قادة اليوم ألى وهو ما يعرف اليوم بصفة

«الكاريزما أو الشخصية الكاريزماتية » وما لها من خصائص وأبرزها ما يتحلى به مما يعرف اليوم « بالذكاء الإجتماعي و العاطفي » وهي القدرة على فهم وقراءة أحاسيس و

مشاعر أو حالة الآخر، و القدرة على التعامل الجيد و الإنسجام معه ، ثم القدرة على أيصال أحاسيس صادقة للآخر بالتعاطف معه مثلا .

7) أعتمد كثيرا على الجمل الشرطية وما يعرف اليوم بعلم الدلالات " السيميوطيقا" أو كما يسميها «العلامات» , و هي الدراسة المنهجية للعلاقات بين العلامات وكيفية إنتاج المعنى وتفسيره ، وقد أعطى أمثلة لذلك :

- ❖ إذاكان هناك أي تلال أو مرتفعات،فهذه الأماكن من أفضل الطرق والوسائل لنصب الأكمنة.
- ❖ إذا مالت الأشجار وتحركت في الغابة ، يعني أن العدو يريدنا أن نتشكك ونرتاب.
- ❖ .....الخ)

وهي (هذه الجمل) من علامات " الإستكشاف" للإستباق فجملة الشرط (التي تبدأ بـ " إذا ") وتتضمن شرطا أو حدثا مستقبليا محتملا ، والثانية هي جملة جواب الشرط التي تبين النتيجة أو ما سيحدث إذا تحقق الشرط .

8) أعتمد سون تزو في هذا الفصل علىYin و Yangعبر عاملي :

- ❖ المكان بما أن مجال اهتمامه ينصب على بحث وتحديد الإقليم الذي إن سيطر عليه فإنه يسهل بالنسبة له الارتكاز عليه والانطلاق منه نحو السيطرة ،
- ❖ كذلك على الزمان (السماء أو الطقس) ، ليبرز ذلك في عبارات

مثل : التحرك بالجيش(اليانغ) ، المياه (الين)، النشاط(اليانغ) و السلبية(الين) ، الأماكن المشمسة (اليانغ) ، المظلمة الداكنة (الين)....الخ .

فعامل الزمان مهم مثل المكان ، ولكنه اقتصر على الهجوم دون للدفاع ، وكأنه يختزل تحرك الجيش بالهجوم فقط.

9) يحيلنا في هذا الفصل إلى إحدى المظاهر « الجيوسياسية » (وهو مصطلح ينطبق في المقام الأول على تأثير الجغرافيا على السياسة و بالتحديد السياسة الخارجية للدولة) ، بإشارة إلى السلام ولو بإقتضاب فيقول: « رسل السلام بدون عهود مختومة موثقة علامة مؤامرة ومكيدة » .

الفصل العاشر : التضاريس

1) في هذا الفصل يعطي سون تزو بكارة تجاربه في معرفته بالتضاريس اذ يقول عبر نصائحه : « يمكننا تقسيم التضاريس إلى ستة أنواع » ، لفظة «يمكننا» هو دليل على " مساهمته كمفكر أو منظر استراتيجي" في الإنتاج المعرفي وكأنه يشترط كذلك بطريقة غير مباشرة وجوب أو ضرورة وجود «عامل الخبرة» لكل قائد لمعرفة هذه التفاصيل وحتى تفاصيل أخرى.

اذ يقسم التضاريس حسب درجة أهميتها لكلا الطرفين ، وهذه الأهمية تبرز من خلال خصائصها وميزاتها :

- ❖ الأراضي سهلة المنال
- ❖ الأراضي المحفوفة بالمخاطر
- ❖ الممرات الضيقة
- ❖ المواقع شديدة البعد عن العدو
- ❖ الأراضي المعوقة
- ❖ المرتفعات الخطرة

و من ثمة يبرز طريقة استغلالها حسب طبيعة وميزات وعيوب كل واحدة منها وبذلك يعتبرها :« المبادئ الست المرتبطة بالأرض. القائد العسكري الذي بلغ موقع المسؤولية عليه أن يدرس هذه المبادئ جيدا».

2) وإن تحدث سون تزو عن تضاريس البر وهو ما يحيلنا اليوم إلى « علم الطبوغرافيا (Topography)أو علم التضاريس وهو تمثيل دقيق لسطح الأرض بعناصره الطبيعية والبشرية » .

ولكن التضاريس مصطلح متعدد الإستعمالات أو الدلالات فالأمر سيان اليوم عن تضاريس الجو (الضغط الجوي،درجات الحرارة، الارتفاعات) و كذلك البحر (التيارات البحرية ، الأعماق، الأمواج) وحتى الفضاء السيبراني كنوع من الطوبوغرافيا لكنها طوبوغرافيا افتراضية وليست مادية.

3) يعرض أنواعا من المهالك الناتجة من أخطاء قيادية أو الحالات الستة من الهزائم المحتمة في ميدان القتال:

- ❖ الاندفاع /الانهيار /الفرار
- ❖ التمرد وعصيان الأوامر
- ❖ الخراب
- ❖ الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة
- ❖ انهيار التنظيم
- ❖ الهزيمة المنكرة

✓ رغم أن سون تزو يؤكد على معرفة كل هذه النقاط لضمان النصر، إلا أنه يذهب أبعد من ذلك في تحقيق النصر إلى درجة « عصيان أوامر الحاكم» فيقول :« إذا كانت نتيجة القتال هي النصر حتما ، فعندها يجب أن تقاتل، حتى ولومنعك الحاكم العام من ذلك. إذا لم يكن القتال ليؤدي إلى النصر، فعندها يجب ألا تقاتل، حتى ولو أمر الحاكم العام بذلك ».

يمكن أن يفسر هذا " بالعصيان " على أمر الحاكم العام :

- ❖ بأن معرفة النقاط سالفة الذكر (أنواعا من المهالك و معرفة كل هذه النقاط لضمان النصر) لا جدوى منها و لا أهمية لها ، بل أكثر من ذلك هذا دليل على النسبية وعدم الثبات لهذه النقاط فهي " حمالة أوجه ".
- ❖ و بالتالي يمكن أن يفسر هذا كذلك ب"حرية الإجتهاد أو التقدير (التقييم) الشخصي للقائد" بما أنه مسؤول على تحقيق النصر و بالتالي على أمن الدولة.

4) يشير إلى صفات القائد :

- ❖ « العسكرية» (الذي يتقدم دون أن يكون غرضه الشهرة، وينسحب دون الخوف من لحاق الخزي والعار باسمه) .
- ❖ « الوطنية » (الذي تسيطر عليه فكرة واحدة هي حماية وطنه) .
- ❖ «الولاء و التفاني» (في خدمة الملك)

ليجمع هذه الصفات في صفة واحدة « هذا القائد هو درة تاج الدولة ».

كما يشير إلى جانبه الإنساني في السلوكيات المتبعة في الجيش أو ما يعرف اليوم " بتقنيات التواصل الفعال" من ذلك :

- ❖ الإحاطة بالجنود و "معاملتهم كالأطفال الذين يحتاجون لمن يرشدهم" و كما يقول : « انظر إلى جنودك كما لو كانوا أطفالك ، وهم سيتبعونك وقتها إلى مهالك الوديان العميقة ، وانظر إليهم كما لو كانوا أحب أبنائك إليك ، وهم سيقفون معك حتى يلقوا حتفهم » ، فالإستراتيجيا هي **فن « تنسيق القوى »** .

و بالتالي الإخلال في هذا الجانب سينجر عليه حالة « الانهيار الداخلي وفقدان الشجاعة، التمرد والعصيان الجماعي للأوامر، ثم الهزيمة المنكرة »

- ❖ الجانب التنظيمي « فالإستراتيجيا بالأساس هي **« فن تنظيم الجيوش »** وكما يقول:« وإذا كنت طيب القلب غير قادر على فرض أوامرك بالقوة، وغير قادر فوق كل ذلك على قمع مظاهر الفوضى والشغب، فوقتها يصبح جنودك مثل الأطفال المدللين لا نفع يرتجى منهم أو فائدة » ، لذلك هو أحالنا سالفا على أسباب أو أنواع المهالك (المخاطر) التي تنشأ عن أخطاء قيادية كانهيار التنظيم، الخراب والدمار.

- ❖ جانب التفكير الإستراتيجي: يؤكد على ضرورة معرفة الذات (اعرف نفسك) ومعرفة العدو ، إلى جانب معرفة «طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة »، فيقول : « إذا عرفت عدوك وعرفت نفسك ، فالنصر لن يصبح محل شك. إذا عرفت طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة، فأنت تجعل انتصارك كاملا ». لذلك الإستراتيجيا كذلك هي **« فن التفكير عبر وضع الخطط العسكرية »**،فهي (الإستراتيجيا)**« الخطة العامة و الرؤية الشاملة ».**

- ✓ وكأن سون تزو عبر هذه الصفات للقائد يحيلنا إلى نوع من التراتبية في الصفات قائمة أساسا على ثنائية «**المهم و الأهم منه** » .**(أنظر الصورة أدناه)**

5) يتدارك ما أشرنا اليه في الفصل السابق على عدم اهتمامه بالزمن، ليربط في هذا الفصل إكتمال النصر بمعرفة المكان مع والزمان فيقول :« إذا عرفت طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة، فأنت تجعل انتصارك كاملاً ».

6) يخرج بنا سون تزو في هذا الفصل عن غيره ليدخل في السياسة من أبواب التضاريس فيشير إلا أن معرفة القائد بالتضاريس ذو أهمية قصوى ليس فقط لإرتباطه بالنصر بل أكثر من ذلك بأمن الدولة ككل بأن يولي" ثلاثية " «أولوية الدولة وخدمة الملك و رفاه الشعب» هي الهدف الرئيسي ، وكأنه يشير إلى أن القائد العسكري وإن لم يكن سياسيا فيجب عليه الإلمام بدواليب السياسة الداخلية و حتى الخارجية .**(أنظر الصورة أسفله، بغض النظر على تفسيرات اليوم لمصطلحات : الحاكم أو الملك و الشعب و الدولة)**

هذا التقسيم مأخوذ عن مقولة لسون تزو :

<< Servir votre prince, faire l'avantage de État et le bonheur des peuples, c'est ce que vous devez avoir en vue ;

remplissez ce triple objet, vous avez atteint le but >>.

« خدمة أميرك، ونفع الدولة والشعب، هو ما يجب أن تضعه نصب عينيك .حقق هذا الهدف الثلاثي، فقد حققت الهدف ».

(مأخوذ عن النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

7) اصبح الحديث اليوم عن حرب الشوارع و المدن بالإضافة لحرب النجوم في" احالة عن حرب الفضاء" .

الفصل الحادي عشر : الحالات التسعة

1) يحيلنا هذا الفصل على تسعة مواقف أو حالات في الحرب التي" تصنع ميدان المعركة " ليقسم هذا الأخير على شاكلة تسعة أنواع أو أصناف من الأراضي تحمل " صفات" نسبتا إلى الحالات التسع " المحكومة "ب :

- ❖ سلوك أو تصرف الجيوش على الميدان
- ❖ المزايا (الفرص) و التهديدات بالنسبة لهم (لكلا الجيشين)

مثال لنوعين من الأراضي :

الأرض المشتتة و الأرض السهلة (**أنظر الصورة أدناه**)

أنواع الأراضي	الحالات
الأرض المشتتة	عندما يقاتل القائد على أرضه
الأرض السهلة	عندما يتغلغل القائد داخل أرض معادية لمسافة قصيرة

البقية :

- ❖ الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها

- ❖ الأرض المفتوحة
- ❖ أرض تقاطعات الطرق
- ❖ الأرض الخطيرة/الحرجة
- ❖ الأرض الصعبة
- ❖ الأرض المحاطة
- ❖ الأرض الميئوس منها/المهلكة .

(للإطلاع على بقية الحالات لهذه الأنواع من الأراضي ، أنظر كتاب « فن الحرب»)

ثم يقوم بتعريفها (الأراضي) عبر سرد خصائصها و مزاياها التي « استخلص أو استخرجت منها تسمياتها أي أنواعها » ليعطي بعد ذلك " دليلا مرجعيا " في التعامل مع كل واحدة منها .

2) بالنظر في طبيعة كل أرض سنجد كذلك من خلال تسمياتها أو صفاتها :

- ❖ « ارتباطها ب " سلوكيات " نابعة أو مرتبطة بالطبيعة البشرية » أو **" بسيكولوجية الجماعات " ، أمثلة في الصورة أدناه :**

الطبيعة البشرية	الأرض
قربهم من أرضهم، سهولة الإنسحاب، تستحق مشقة وعناء الإستيلاء	المشتة السهلة الصعبة ....

- ❖ كما يمكن أن ترمز التسميات إلى أنواع أو أصناف الشخصيات في البشر.

3) التعاطي مع هذه الأراضي بطريقة مرنة و جيدة مرتبط أساسا بصفات القائد أو أمير الحرب عبر القدرات القيادية من ذلك طريقة تحريكه للجنود عبر التواصل المادي أو التنظيمي ثم الإجتماعي (منح المكافآت مثلا) وكذلك السيكولوجي ، كما قال :« ادرس بعناية أسباب وعوامل راحة جنودك » و « وضع معيار شجاعة يجب على الجميع بلوغه ».

في ترابط هذين الطرفين (القائد و الجنود) :

- ❖ مما يمكن من تظافر الجهود لدعم عوامل أخرى محفزة للتكتيكات مثل السرعة، الخدعة،احباط مخططات العدو .

وما يضيف إلى " مرونة التكتيكات " :

- ❖ التعلم من مكونات الطبيعة كما قال : « مثل تشبيه التكتيك الماهربالثعبان شواي-جان ، ما أن تضرب هذا الثعبان عند رأسه حتى تجده يهاجمك بذيله ، وما أن تضرب ذيله حتى يهاجمك برأسه ، وما أن تضربه في منتصف جسمه حتى يهجم عليك برأسه وذيله ».

(أنظر الصورة أسفله)

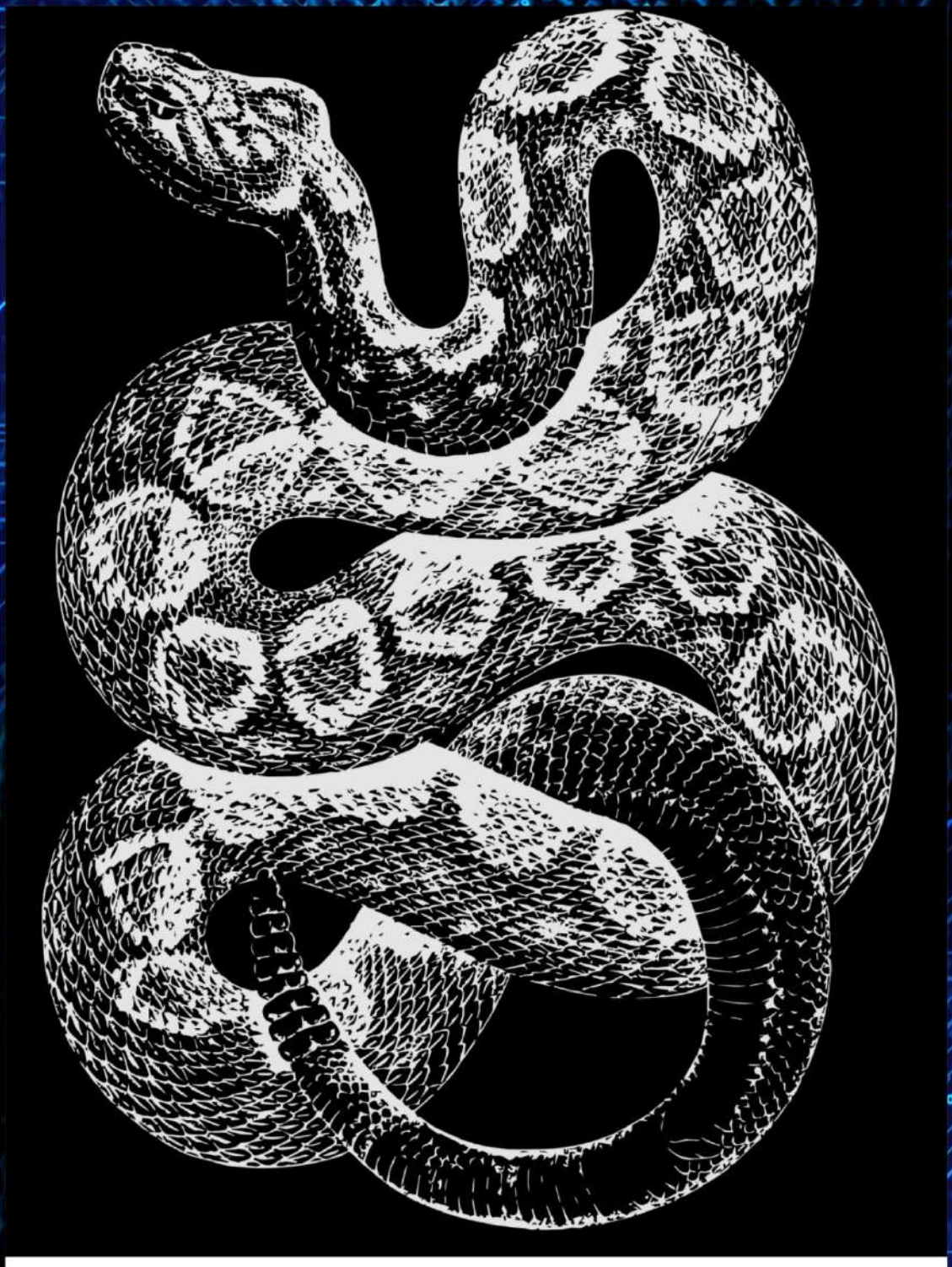

كلمة "شواي جان" في اللغة الصينية تعني
"السرعة المفاجئة" أو "الهجوم الصاعق"

4) ما يضيفه سون تزو كمفكر استراتيجي هو براعته في الربط بين الأشياء ,فيتنقل برشاقة بين " أدغال" التضاريس ليربطها بالعامل البشري بما في ذلك ما تخفيه سرائر النفوس (خوف، رغبة ،شجاعة...) ، ليذهب أكثر من ذلك بربط العقل بالجسد و الروح **(أنظر الصورة أدناه)**

- ❖ كما أن طوبوغرافيا التضاريس مثلها مثل الطبوغرافيا النفسية (مثال الطبوغرافيا النفسية لفرويد و هي نموذج نظري يقسم العقل البشري إلى ثلاث حالات: اللاوعي، واللاشعور المسبق، والوعي).
- ❖ ليصل إلى درجة أنه يؤكد أن طبيعة الدفاع أو الهجوم مرتبطة بالضرورة بالطبيعة البشرية فيقول :« مدى ملائمة التكتيكات الهجومية أو الدفاعية، والقوانين الأساسية للطبيعة البشرية » (وقد أشرنا في مثال لذلك سالفا ، في الرسم أعلاه : الطبيعة البشرية و الأرض)

5) مما هو ملاحظ في هذا الفصل هو عدم التركيز بشدة أو بصفة مباشرة على النصر، بل السائد هو القدرة على التكيف و من ثمة إلى صياغة تكتيكات ملائمة ، و ملائمة هذه التكتيكات مرتبط بخصوصية التضاريس وهنا نعود إلى عامل الخبرة أو المعرفة من عدمه بالنسبة للقائد (معرفة التضاريس مثلا) ، ويبرز ذلك جليا في تركيزه على شخص القائد وفي صفاته القيادية

، فإلى جانب المهارة كان التركيز أكثر على الجانب " التقني العملي أكثر من التنظيري" وكأنه يشير إلى ضرورة عامل الخبرة أي «**المعرفة العلمية و المعرفة العملية** (التجربة أو الممارسة) » ،وكأنه يحيلنا كذلك إلى شرط أساسي لبناء الإستراتيجيا ألى وهو الواقعية (مستمدة من الواقع) .

الفصل الثاني عشر: فن الهجوم بالنار

1) الهجوم بالنار هو مرحلة مهمة في الحرب ، فهو خطة (تكتيك) للهجوم .

يذكر سون تزو خمس طرق للهجوم بالنار :

- ❖ حرق جنود العدو في معسكراتهم
- ❖ حرق المخازن
- ❖ حرق وسائل النقل والإمدادات
- ❖ حرق الأسلحة و الذخيرة
- ❖ قذف النار بين صفوف العدو

بالطبع كل عملية حرق مرتبطة بمكونات ، آليات أو أدوات وأساليب (وهي طرق الطرق، رغم أنه لم يفصح عنها) ، وكذلك مرتبطة (أي عملية الهجوم بالنار) بمكان و خاصتا خاصتا بتوقيت زمني معين وهو مايؤكد عليه سون تزو في هذا الفصل عبر إشارات:

- ❖ موسم ملائم للهجوم بالنار
- ❖ أيام بعينها
- ❖ اختر الوقت المناسب للهجوم....الخ

وذلك في إطار استراتيجيا متكاملة.

2) داخل الخطة (التكتيك) هنالك خطط أخرى ما نسميه ب« **تكتيك التكتيك** » ، في شكل بدائل مرتبطة بحالات أو احتمالات أو ما يسميها تطورات يجب الإستعداد لها و ما يعرف اليوم « بالسيناريوهات المحتملة أو الممكنة » و التي ذكر خمسة منها :

- ❖ عندما تمتد النيران
- ❖ إذا جنود الأعداء التزموا الهدوء
- ❖ عندما تبلغ ألسنة اللهب أقصى ارتفاع
- ❖ إذا لاحت الفرصة للهجوم،

❖ عندما تشعل نارا (الجهة التي تشعل منها النار) .

(أنظر المثال التوضيحي في الصورة أسفله) .

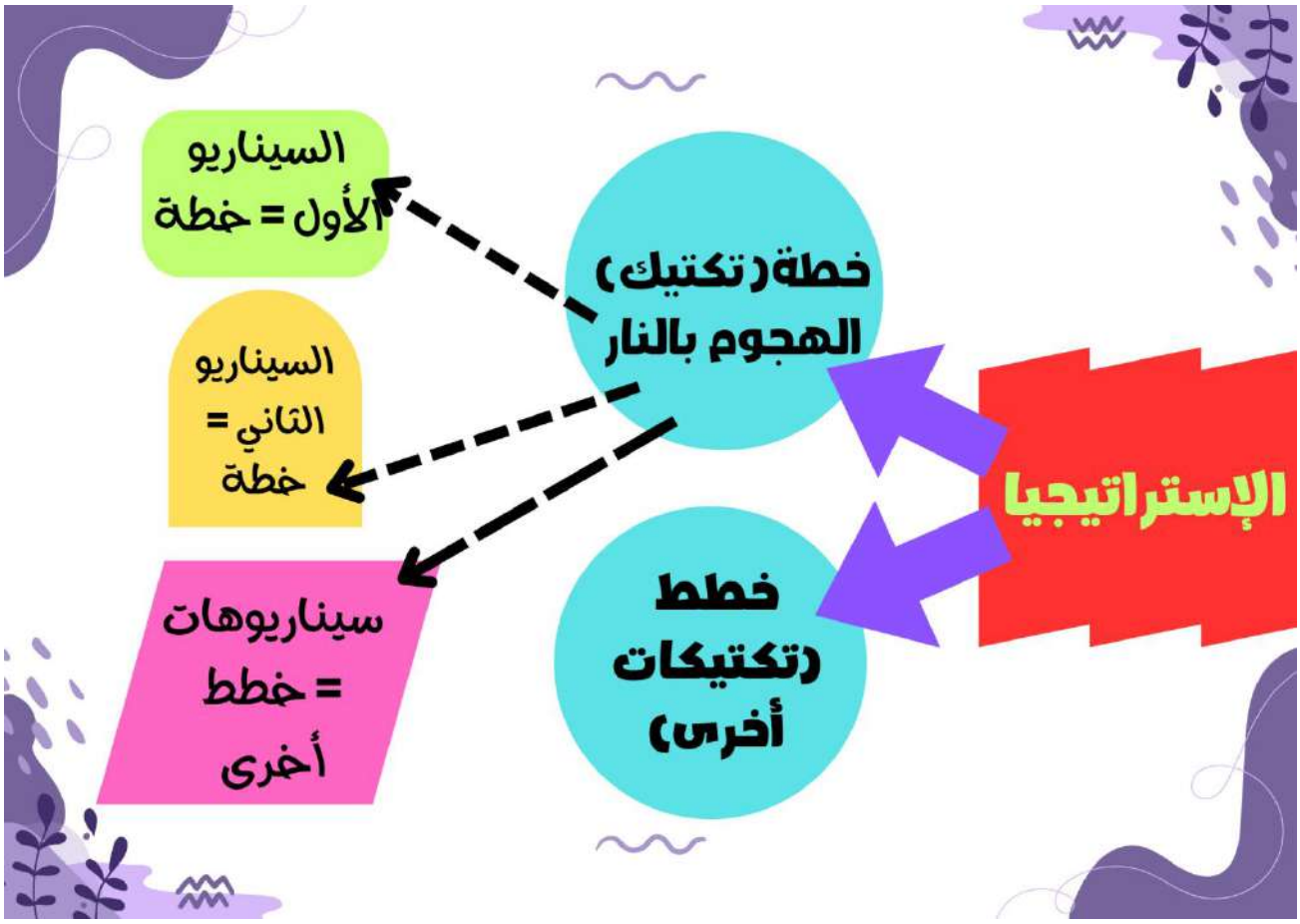

3) نلاحظ الإعتماد على عناصر الطبيعة الأربعة في الخطط التكتيكية : الماء ،الهواء(الرياح) ،النار و التراب) ، و الإستفادة من تناغمها رغم تضادها ، وهو ما يحيلنا إلى إرتباطه الوثيق بالطاقة أو الطاو Tao ، مثال :

❖ الماء : الين

❖ النار: اليانغ

فيقول :« إذن أولئك الذين يستعملون النار لتساعدهم في الهجوم يتحلون بالذكاء، وأولئك الذين يستخدمون المياه لتساعدهم في الهجوم يحصلون على قوة إضافية ».

(أنظر الصورة أدناه)

العناصر الأربعة الأساسية في الطبيعة : النار، الماء،الهواء،والأرض أو التراب وهي متشابكة ،متناغمة و متكاملة رغم تضادها .

4) يعطي في هذا الفصل دروسا في « الحوكمة أو القيادة الرشيدة » او بمعنى أصح في « فن القيادة » في شكل نصائح (إعتماد كلمة «يجب» تعبر عن الوجوب والضرورة) في دور أو مهام المسؤول سواء كان الحاكم أو القائد أو كانا معا ، فيقول : «لا يجب على الحاكم أن يضع قواته في الميدان استجابة لثورة غضب ، ولايجب على القائد أن يخوض معركة فقط بسبب جرح طال كبريائه » .

- ❖ وكأنه يشير في هذه النصائح إلى الإرتكاز على العقل و المنطق دون الإنجرار وراء العواطف في تحمل المسؤولية.
- ❖ كما يركز دائما على دور القائد وواجبه تجاه الدولة فيقول :

<< N’oubliez jamais que votre dessein, en faisant la guerre, doit être de procurer à État la gloire, la splendeur et la paix, et non pas d’y mettre le trouble, la désolation et la confusion >>.

« لا تنسوا أبدا أن هدفكم من خوض الحرب يجب أن يكون تحقيق المجد والروعة والسلام للدولة، وليس جلب المتاعب والخراب والارتباك إليها ».

(مأخوذ من النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

- ليربط ذلك بتواصل القائد مع الجنود ، فالعامل الإجتماعي و السيكولوجي التحفيزي موجودان دائما لدى سون تزو فيقول :« شقي مصيره من يحاول الانتصار في معاركه والنجاح في هجومه دون تنمية روح المغامرة لدى جنوده » وهي ركائز لقواعد إنسانية في الحرب (خاصتا بين القادة و الجنود) بإعتبارها أسلحة " داخلية (نفسانية) محفزة " مع المحافظة بالطبع على القانون الأخلاقي و النظام العام اللتان ذكرهما في الفصل الأول .

5) إلا أننا نلاحظ في هذا الفصل التركيز على الهجوم دون الدفاع ، فالهجوم بالنار يمكن أن يكون في الدفاع كذلك ، وكما قال سابقا (في الفصل الثالث) :« الهجوم هو سر الدفاع، والدفاع هو التخطيط للهجوم ».

الفصل الثالث عشر: استعمال الجواسيس

1) يأخذنا سون تزو في هذا الفصل عبر مغامرة بين:

- ❖ عالم الظل (الين) ، الظلام والخفاء
- ❖ وعالم النور و الشمس(اليانغ)

أي من حرب غير مباشرة لتمتد إلى مباشرة ، لتحمل في طياتها أبعادا مختلفة (اقتصادية،اجتماعية وحتى ثقافية) ، في عالم الجاسوسية عبر استعمال الجواسيس.

2) ينطلق بنا سون تزو في هذا الفصل من « الكل إلى استنباط الجزء » أي « من " أشياء " الحرب ككل إلى إستعمال الجواسيس كجزء » ، لينطلق من معطى حديث الإستعمال أو ما يعرف اليوم « بإقتصاد الحرب» الشبيه " بكرة الثلج" التي تتدحرج لتبدأ من عامل عسكري (تجميع مئة ألف من الجنود مثلا) ، مرورا بالمالي،ثم اقتصادي و اجتماعي (سيتضرر الآلاف من الأسر في أعمالهم وأرزاقهم) وحتى سياسي (وتعم الفوضى داخل البلاد) ، ليربط فيما بعد " سيناريو كرة الثلج " « بصراع المخابرات بين الدول » عبر دور الجواسيس ، في جدلية القيم (الفضيلة و الرذيلة) مشيرا إلى أن التقشف عمل لا انساني فيقول :« لأنك ترفض إنفاق حفنة أونصات من الفضة لشراء ذمم ورواتب الجواسيس لهو عمل يمثل قمة اللاإنسانية » . وكأن سون تزو في هذه المقولة يستشرف مقولة لميكيافيلي : « الغاية تبرر الوسيلة » ، فالغاية هي الحصول على « المعرفة المسبقة بتحركات ونوايا العدو لتنفيذ الضربات القوية وتحقيق النصر» ،أما الوسيلة فهي « شراء الذمم في استعمال الجواسيس للحاجة الماسة وبالتالي وجب الإنفاق » .

3) الجانب « الإستشرافي » المنتهج في هذا الفصل يحيلنا إلى النظر في جانب حديث أو دور ما يعرف اليوم بأجهزة المخابرات (في علاقة بكل ماهو خارج الحدود) عبر استعمال الجواسيس ، واللذين قسمهم إلى خمس فئات (ومازال معمولا بهذا التقسيم إلى اليوم) :

- ❖ المحليون
- ❖ الداخليون
- ❖ المنشقون
- ❖ الهالكون
- ❖ الاستراتيجيون

هذا وقد أعطى ميزة كل من هؤلاء مع ادوارهم الموكلة اليهم ، والحكمة في رأي سون تزو « أن تعمل جميع فئات الجواسيس معاً في وقت واحد وفي انسجام تام، وهو أكثر التنظيمات الاستخباراتية ».

بالإضافة إلى أنه يعطي " تحفظات " في اختيار و توظيف الجواسيس ، لذلك يعطي قواعد في إدارة التعامل معهم وحسن استغلالهم في استخراج أفضل المعلومات الاستخبارية العسكرية .

- وبالتالي هو يحيلنا إلى " نوع من الجنود" حامل لمبادئ و أخلاقيات أو أدبيات تختلف تماما وتتناقض مع تلك التي نادى بها في الفصل الأول في العناصر الخمس مثل القانون الأخلاقي ، القائد و و النظام العام .

هي جيوش بتفكير خاص كما قال :« الجواسيس بحكم طبيعتهم دائما ما يتعاونون مع من يدفع أكثر» وسيكولوجية خاصة (المواهب الذهنية) جدا لذلك يقول :« الجواسيس هم أكثر العناصر أهمية » ولذلك يعطي **دليلا في الحوكمة وترشيد إدارتهم** في التعامل معهم بحكم أهمية الأدوار الموكلة اليهم ، لذلك يقول :«لا يمكن توظيف الجواسيس بدون مبادئ عامة حكيمة ومفهومة وواضحة » ، ومن ذلك :

- الحفاظ على علاقات قريبة وحميمة مع الجواسيس
- مكافأة هؤلاء الجواسيس بسخاء
- السرية التامة للتعامل مع الجواسيس
- يجب أن يتمكن الجواسيس من الوصول للقائد بكل سهولة وفي كل وأي وقت.

وكما يقول :

<< Une armée sans agents secrets est un homme sans yeux ni oreilles >>.

جيش بلا عملاء سريين هو رجل بلا عيون أو آذان .

(مأخوذ من النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

4) يحمل التقسيم سالف الذكر للجواسيس في طياته :

- ❖ تراتبية هرمية حسب أهمية الجاسوس.
- ❖ تداول المعلومات حسب الكم و النوع ، أو بمعنى أوضح من الكمية وصولا إلى النوعية التي تفضي إلى التنفيذ ، وبين المرحلتين يحيلنا إلى « عملية تحليل المعلومات » فيقول :« بدون إعمال العقل والتفكير في تقارير المعلومات الواردة من الجواسيس، لايمكن لأحد أن يكون واثقا تمام الثقة من صحة هذه المعلومات الاستخبارية ».

(أنظر المثال التوضيحي في الصورة أسفله)

- ✓ جواسيس الجواسيس : عملاء غير مباشرين أو المساعدون الظرفيون أو المؤقتون ، كما قال عنهم : « بغض النظر عما إذا كان الهدف هو قهر عدو أو غزو مدينة أو اغتيال فرد ما، فيجب أن تبدأ بمعرفة قائمة أسماء الجميع، من مساعدين وعاملين وحراس، ويجب توجيه الجواسيس ليؤكدوا صحة هذه الأسماء. يجب بحث إمكانية استمالة أي من هؤلاء بالرشوة بالمال» .

5) سبق في الفصول السابقة قد لاحظنا إلمام سون تزو بالشأن العام الداخلي أو المحلي " كثقافة "، ومن خلال هذا الفصل يبرز إلمامه بالإقتصاد والسياسة و حال المجتمع عبر أمثلة :

- ❖ في حال إقرار ميزانية للجوسسة
- ❖ ما يجب على الحاكم انجازه
- ❖ إلى جانب أمثلة سابقة .

و بالتالي يبرز لدينا سون تزو « السياسي» إلى جانب القائد العسكري و رجل المخابرات العسكرية ، وكذلك الداعي للسلام (ولو حسب الشروط) ، فينصح الجنرال أو القائد الماهر في مقولة :

il faut qu'il soit toujours le maître d'accorder la paix et de l'accorder aux conditions qu'il jugera à propos.

« يجب عليه دائما أن يكون سيدا في منح السلام ومنحه بالشروط التي يراها مناسبة ».

(مأخوذ من النسخة الفرنسية لنفس الفصل)

- **وفي** هذه المقولة احالة إلى معطى حديث مهم يستخدم إلى اليوم ألى وهو « **مبدأ التفاوض (Négociation)** «**كآلية** أو أداة وتقنية " حمالة لآليات ومجالات مختلفة " : سيكولوجية، فيزيولوجية ، استخباراتية ، اجتماعية وخاصتا في « **مبدأ أو آلية الوساطة (Médiation)بين السلام والحرب** » ، و بالتالي إحالة إلى معطى آخر في السياسات الخارجية و العلاقات الدولية ، ألى وهو « **الدبلوماسية** » (**Diplomacy**) .

6) يحيلنا سون تزو في هذا الفصل على « فلسفة الأخلاق التي تناقش معايير الصواب و الخطأ » .

فلا يشير هنا إلى الأخلاق بطريقة مباشرة كما هو متعارف عليها ولكن يشير إلى عملية الجوسسة " كنموذج" ، بإعتبار الجاسوسية تصبح الفضيلة التي تقتضيها الحرب لخدمة الصالح العام ، و كما تقول القاعدة الفقهية الشرعية العربية الإسلامية: "الضرورات تبيح المحظورات" و كما يقول سون تزو : «الحاكم المتنور والقائد الحكيم هما من يستخدمان أفضل المعلومات الاستخبارية العسكرية لأغراض التجسس وبذلك يحققان النتائج العظيمة » .

- وفي جانب آخر وقد أشار إلى أن « الجواسيس بحكم طبيعتهم دائماً ما يتعاونون مع من يدفع أكثر» ولكن هذا مفهوم إن كان هذا الجاسوس من داخل منظومة العدو أي محلي، داخلي أو منشق ، ولكن هل هو نفس الشيء كذلك للجواسيس الهالكون (المضللون) و الاستراتيجيون الذين هم بالظرورة من أبناء البلد ، أفلا يحكمهم نوع من الولاء سواء للحاكم أو للدولة تبعا لطبيعة أو أهمية المهمات المحددة و الموكلة اليهم ؟؟؟

- بالإضافة إلى أن هؤلاء الجواسيس المضللون والاستراتيجيون يعتبرون بلغة اليوم « مندسين » ولكن الفرق بينهم أن الفئة الأولى (المضللون) " ظاهرة " للعدو بينما الثانية (الاستراتيجيون)" مخفية ". وهذا يجرنا إلى سؤال آخر:

أفلا يتم تدريبهم ؟ فهو لم يشر إلى تفاصيل في هذا الشأن .

7) أصبحنا اليوم نتحدث على "جيوش الظل" أو جواسيس الذكاء الإصطناعي .

الجوسسة كما ارتأينا لذلك (حسب اجتهادنا) هي :

- فن المناورة و الخداع
- وفن " الإختراق " كما قال سون تزو: « واستعمل الجواسيس في شتى الأمور والمجالات »
- هي تكتيك الهجوم و الدفاع
- وفن من فنون الحرب
- وهي حرب الجواسيس .

الجزء الثاني

تقييم شامل لمحتوى الكتاب مع النظر في مدلات أو قابلية تطبيقاته في الزمن المعاصر .

فصل المقال ، في ما احتواه « كتاب فن الحرب » من استراتيجيا و إتصال

1) بعض النظر عن صحة تاريخ تأليف كتاب « فن الحرب » (القرن السادس قبل الميلاد) وعن سون تزو (من 551 إلى 496 قبل الميلاد[4]) و تاريخه العسكري و الأحداث المرطبتة به كجندي ثم قائدا عاما (جنرال) لجيش مملكة تشي و معاصرته لفترة الربيع والخريف في الصين (تمتد من 771 إلى 476 قبل الميلاد) وهي حقبة من الاضطرابات السياسية والاجتماعية تميزت بالصراعات بين الممالك المتناحرة، فخلال هذه الفترة استفاد سون تزو من خبرته العسكرية في تأليف كتابه « فن الحرب » .

وبعض النظر عن إكتمال فصول هذا المخطوط نظرا لكتاباته الأولى في شكل مقالات منفردة على عصي نبات البامبو ثم بوبت في ثلاثة عشرفصلا لتأخذ شكل كتاب عنوانه « فن الحرب » وهو عنوان ملفت للنظر عند التركيز على الجمهور المستهدف ، و الذي نجده غالبا ما يبدأ به (العنوان) في أول جملة من كل فصل ليعطي لمحة عن محتوى الكتاب وأفكاره الرئيسية .

ورغم ما أصاب هذا المخطوط عبر الزمن بالإضافة إلى الترجمات (إلى الفرنسية و الإنجليزية و منه إلى العربية) و ما كان منها من " خيانة "(من المتعارف عليه أن كل ترجمة خيانة للنصوص الأصلية) للنصوص الأصلية (الصينية) إلا أنها تبقى سارية المفعول وحاملة للحكمة التي بداخلها .

2) الفصول الثلاثة عشروإن بدت مرتبة و منهجية إلا أنها تخرج أحيانا عن سياق الترتيب إلى التشتت ويبدوا ذلك جليا حتى داخل الفصول ، ولكن هذا لايمنع تكاملها و إن بدت أحيانا مكررة و لكن تحت عناوين وفصول مختلفة ، إلا أنها تبقى ثرية ، متناسلة من بعضها البعض إلى درجة أن الفصل يفتح بابا للفصل الذي يليه للتعمق أكثر ، وإن بدت في الظاهر أحيانا غير متناسقة (الحجم طويل أو قصير) ولكنها متناغمة يكمل بعضها البعض ويجيب الفصل منها على أسئلة أو " غموض" الفصل الذي سبقه.

« فالكتاب في حد ذاته استراتيجيا فصوله هي تكتيكاتها ».

---

4 يشير ترقيم السنوات بـ «قبل الميلاد» (ق.م) إلى الأعوام التي سبقت التاريخ المفترض لميلاد السيد المسيح، وهو نظام ترقيم تنازلي، حيث تقرأ السنوات الأكبر عددا كأنها تسبق السنوات الأصغر عددا.

محتوى هذه الفصول هي نصائح أو تعاليم " المعلم أو القائد سون" في شكل مبادئ عامة مما جعلها عابرة للعصور وحتى الأماكن ، بإعتبارها " سلوكيات" أي تصرفات وأفعال (إشارة إلى العلوم السلوكية وهي مزيج بين العلوم الإجتماعية و الطبيعية وهي شكل من اشكال التحليل النفسي التجريبي وليس الذاتي أو التقليدي ، و هي كذلك مزيج بين علم الحركة و علم النفس) يمكن أن تثبت جدواها في ذلك العصر (ق6قم) وأثبتت بالفعل جدواها على مر العصور من القديمة إلى الحديثة و حتى المعاصر لتقتحم عديد المجالات (السياسة،الإقتصاد،المال و الأعمال و غيرها) بعض النضر إلى موطنها الأول مجال العسكرية ، و ذلك بإعتبار أن الحرب في حد ذاتها هي فن الصراع و النزاع وتضارب الرغبات والمصالح ، فإلى جانب الأسلحة التقليدية تستخدم فيها (الحرب بصفة عامة) أسلحة أخرى كالحوار والجدال و التفاوض وحتى المال وكذلك الدين و العلم ....الخ ، للوصول إلى أهداف أو غايات أو رغبات معينة لتنتهي إما بالنصر أو الهزيمة في إطار « **منظومة سلوكيات بشرية عامة** » .

3) يحيلنا هذا الكتاب الى طبيعة أو بيئة الحرب و ما يحيط بها في الصين القديمة خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد (ق5و6قم) ، فما الحرب " كظاهرة " إلا عينة أو صورة مصغرة أو " الجزء الذي يمكن أن يحيلنا إلى بعض جوانب الكل أو بمعنى أصح يعطينا فكرة عن الكل" (طبيعة **الجزء** تختلف عن **الكل** كما هو معروف بنظرية الأنظمة Systems Theory كما سنشاهد ذلك لاحقا)، فالحرب لا تنطوي فقط على صراع مسلح بل تعكس مناخ فكري أو ثقافي (الفلسفات و الديانات الصينية القديمة) ، سياسي (علاقة الحاكم بالمحكوم) ، اقتصادي واجتماعي ثم عسكري (القوانين أو المبادئ والتنظيم،التكتيكات، الأسلحة، الظروف الفيزيولوجية و النفسانية للجيوش..) ، وحتى العوامل الطبيعية (التضاريس مثلا) ، وإن لم يشر سون تزو إلى طبيعة العلاقات بالمحيط الخارجي أو " البيئة الكونية " واقتصر على الأعداء بذكر لفظ « العدو» فحسب دون تفاصيل أو معطيات .

4) كان اشتغال سون تزو في كتابه هذا كذلك عن الحرب كفن "حركة أو فعل" (تصرفات في إطار السلوك الفردي والجماعي) شبيهة بفنون القتال أو العزف المنفرد، ولكنه أهمل الجانب المنظوماتي أي الحرب كمنظومة أي مؤسسة أو بنية متكونة من أجزاء متراصة ، متكاملة ومتناغمة وبالتالي متشابكة أي معقدة « أي منظومة متكونة من أجزاء و في نفس الوقت تنتمي لمنظومة أوسع كونية أو حتى اقليمية » .

فطبيعة كل نظام أو منظومة بصفة عامة أن يكون « **كل متكامل لا يمكن اختزاله إلى أجزائه، فكل منها سيختلف سلوكه بشكلٍ فردي ، النظام يقوم بتنظيم و تعديل ذاتي، وهو كذلك جزء من نظام أكبر** » ، وإن ذكر بعض هذه الأجزاء(الحاكم أو الملك، الدولة،القائد،الجيش ،الشعب،

العدو..) ولكن في إطار تحركاتها أو تفاعلاتها في « منطقة » أو دائرة الحرب (من اتخاذ القرار إلى التخطيط ثم التنفيذ وصولا إلى النصر أو الهزيمة) .

و بالتالي نحن في حضرة ما يعرف ب « **المنظومة المغلقة** » ، فليست هنالك تركيبة للحرب (منظومة داخل منظومة أوسع) فهو لم يتطرق لأسبابها أو شروطها العميقة (ما قبل الحرب) لماذا تنشب الحروب مثلا ؟؟؟، وحتى لمآلاتها أو أبعادها أي أهدافها الكبرى (أي ما بعد الحرب : بعد النصر أو الهزيمة) التقييم الشامل، العلاقة بالسلام ،مستقبل العلاقات الدولية مثلا ؟؟؟، وهو الجانب المظلم في هذا الكتاب ، ولو أنه " زكاها " (أي الحرب) بالفن ،ولكن هذا الأخير هو منظومة (تركيبة) جمال وإبداع منفتح (يتأثرو يأثر بمحيطه الخارجي) وهو " مالم يتفطن له" سون تزو رغم استلهامه منه واشتغاله به (أي الفن) .

(أنظر الصورة أدناه)

- ✓ ملاحظة : في هذه النقطة بالذات (المنظوماتية) نحن نتقيد فقط بمحتوى الكتاب أي بفصوله الثلاثة عشر، ولكن لو قمنا برحلة عبر الزمن و قارنا البارحة باليوم و الظاهر بالباطن ، فسنجد في النظام الصيني اليوم نظاما مغلقا و إن بدى في الظاهر مفتوحا ، فشروط النظام ككل (كما أشرنا سالفا) ليست متوفرة في النظام الصيني، وبالتالي نجد ظالتنا في مصطلح " النظام المغلق الصيني " وهو نظام علاقات دولية قديم ركز على هيمنة الصين في شرق آسيا ،

وكذلك يمكن أن يشير المصطلح إلى طبيعة النظام السياسي المعاصر في الصين، والذي يتميز بحكم الحزب الشيوعي الصيني الواحد وسيطرته الكاملة على السلطة اليوم .

5) يعتمد سون تزو في « تعاليمه أو نصائحه » في « فن الحرب » على عاملين متكاملين ، متشابكين و متكافلين : الجانب المادي (فيزيولوجي مثلا) و اخر معنوي (فكري، روحاني أو حتى سيكولوجي مثلا) ، وقد بان ذلك في معظم فصول الكتاب إن لم يكن كلها ، و أمثلة كثيرة مثل الفصل الثالث أو حتى الخامس و الفصل السابع: المناورة أو الخداع بالمظاهر (وهي من الحيل النفسية المعتمدة اليوم في التأثير على الطرف المقابل سواء كانوا فرادى أو حتى جماعات)، إلى درجة أنه يذهب إلى تحقيق النصر دون قتال، وهي من أبرز الأشياء التي إحتواها هذا الكتاب .

6) يبدوا جليا من خلال هذا الكتاب تجاوز سون تزو مرحلة المحارب و القائد و العارف بآليات القتال و حرصه على تحقيق النصر وتجاوز الهزيمة ، ليرتقي إلى مرحلة الفنان المبتكر و المبدع و من ثمة إلى رتبة الحكيم عبر الفلسفة الإنسانية و الأخلاقية المستمدة من الطبيعة و بالتحديد من القوى المحركة لها و التي تبدوا جليا للعيان في هذا الكنز الفريد،كتابه «فن الحرب» .

- إن ما ينطق به سون تزو لا ينم عن رجل خبر الحرب فقط ، بل أبعد من ذلك في رجل حلق قبل ذلك في سماء فلسفة " الطاو Tao " الروحانية بإعتبارها كذلك ديانة ، فأستلهم منها ما شاء و ترجمها إلى العقلانية في شكل فلسفة سلوكية حربية و سياسية **" سون تزووية " (نسبتا لسون تزو)** ، مترجما ذلك إلى كتاب مرجعي في الحرب ، لذلك سمى الكتاب «فن الحرب» ، لأن الفن هو الأقرب إلى الروح (فن) منه للجسد (الحرب).
- وهذا هو منهج سون تزو حسب ما توصلنا " بتدبرنا " اليه .**(أنظر المثال التوضيحي في الصورة أسفله)**

الطاو Tao
Yin, Yang
taìjítú
الفلسفة
فن
الحرب

❖ و بالتالي لا يمكن إنكار العلاقة الجدلية بين سون تزو و الطاوية ، ويمكن حوصلتها في علاقة تبادلية (تأثروتأثير) . ففي كتابه « فن الحرب » ، استوحى الكثير من مبادئه من الفلسفة الطاوية ، خاصة فيما يتعلق بديناميكية وروح الطبيعة ، فلا يخلوا فصل من " طاقة الطاو " وخاصتا عبر ركائزها الجدلية،التكاملية «الين و اليانغ»، في المقابل ساهم كتابه في إبراز المبادئ الطاوية في سياق عسكري استراتيجي عبر فلسفتة «فلسفة الحرب السون تزووية».

❖ وبالتالي يجدر القول أنه لا يمكن فهم محتوى هذا الكتاب بمعزل عن الثقافات الصينية القديمة مثل الكونفشيوسية وصولا للطاوية ، لأنها ببساطة متجذرة في اللاوعي الصيني .

7) ولنكن موضوعيين " أكثر من اللازم " ، فإن أعتمد كتاب فن الحرب أو استلهم منه أو نسخ عنه أو، أو،أو.. الخ ، في مختلف المجالات و الميادين وعلى مر العصور و الأزمنة ، فإنه ما أخذ منه أو عنه هو فقط الظاهر أو " القشور" ، فالباطن لا يمكن إدراكه إلا لمن وضع نفسه أو " ارتدى فكر و روح سون تزو" بفلسفته الطبيعية العميقة ونظرته التأملية الأعمق .

❖ وإن مر على محتوى الكتاب قرون ، سواء بالنسبة للأحداث أو الظواهر (الحرب مثلا) ، أو غيرها ، فالتاريخ كما قال ابن خلدون: « في ظاهره لا يزيد عن الإخبار، ولكن في باطنه نظر وتحقيق » .

فيكفي أن تكون الإستراتيجيا بركائزها (التكتيكات مثلا) و المستمدة من هذا الكتاب ماثلتا الى اليوم على طريقة كتاب فن الحرب و تدرس في الكليات الحربية و ليس من العبث أن تعتمدها أعتى الدول ويقتدي بها أقدر القادة (رائد نهضة الصين ماو زدونج مثال) .

8) يرى الخبراء و الباحثون و المختصون في هذا الكتاب (فن الحرب) مصدرا للإستراتيجيا المستمدة أساسا من « مجال العسكرية » والتي يمكن تطبيقها أو اسقاطها على أو في مختلف المجالات و الميادين وهذا صحيح ، ولكن ما لم يتطرقو اليه لو دققوا النظر جيدا هو إحتواء هذا الكنز المعرفي على عديد العلوم و المعارف التي يحتويها هذا الكتاب و تدرس اليوم بتسميات حديثة مثل السيكولوجيا ، الجيولوجيا،الجغرافيا و التاريخ، الإستشراف ، علم الإنسان (الأنتروبولوجيا) السوسيولوجيا، الميتافيزيقا، الثقافات القديمة ، علم السياسة، التواصل أو مايعرف اليوم بالذكاء العاطفي وحتى الإجتماعي ، وخاصتا خاصتا الحكمة أو الفلسفة إلى جانب ما يعرف اليوم بالتنمية المستدامة (في علاقة الإقتصاد و الإنسان بالطبيعة) وحتى التنمية البشرية (تكوين الذات و الموارد البشرية) بل أكثر من ذلك هذا الكتاب هو مصدر " الهام " لما يعرف اليوم بالقوانين الدولية كحقوق الإنسان .

9) هذا الكتاب هو كذلك عبارة عن Strategic DNA (الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين الاستراتيجي) أو الجزء الذي يحتوي الكل (العلوم أو الإختصاصات) داخله. **(أنظر الصورة أسفله)**

بل أكثر من ذلك ، لتكتشف العلوم و الإختصاصات "جذورها " من خلال هذا الكتاب وتتحول هي بحد ذاتها إلى استرايجيا في أشكال و ألوان مختلفة تأثرعلى الإستراتيجيا أو فيها .

- فإن عرفت الإسترتيجيا كتقنية أوآلية ، لتتجاوز هذا النمط إلى منهج أو طريقة أومسار تفكير"متلونة" بألوان بقية المجالات و العلوم ، لترتقي بذلك إلى درجة «الفن» ، فهي رؤية ، خاضعة لمبدأ التأثير المتبادل (تأثر وتتأثر) والتكيف و بالتالي الإنتقال **من « استراتيجيا العلوم »** (الإسترايجيا المطبقة في أو على العلوم) ففي مجال الأعمال مثلا نجد « استراتيجية المؤسسات » ، وكذلك التفكير العلمي « عبر استراتيجيا التفكير العلمي » (كما ورد في أحد كتبنا) ، **إلى** ما سميناه « **بالعلوم الإسترايجية** » (العلوم المطبقة كإسترايجيا) فالسيكولوجيا أو السوسيولوجيا مثلا مثلها كذلك الذكاء العاطفي و الإجتماعي وحتى الإصطناعي **هي استرايجيات** إلى جانب أنها علوم أو اختصاصات .

وحتى الآلية أوالمقاربة سالفة الذكرSWOT ANALYSIS مثلا هي في حد ذاتها مطبقة مثلا في **استراتيجيا العلوم** وكذلك في **العلوم الإسترايجية** .

(أنظر التفاعل في الصورة أدناه)

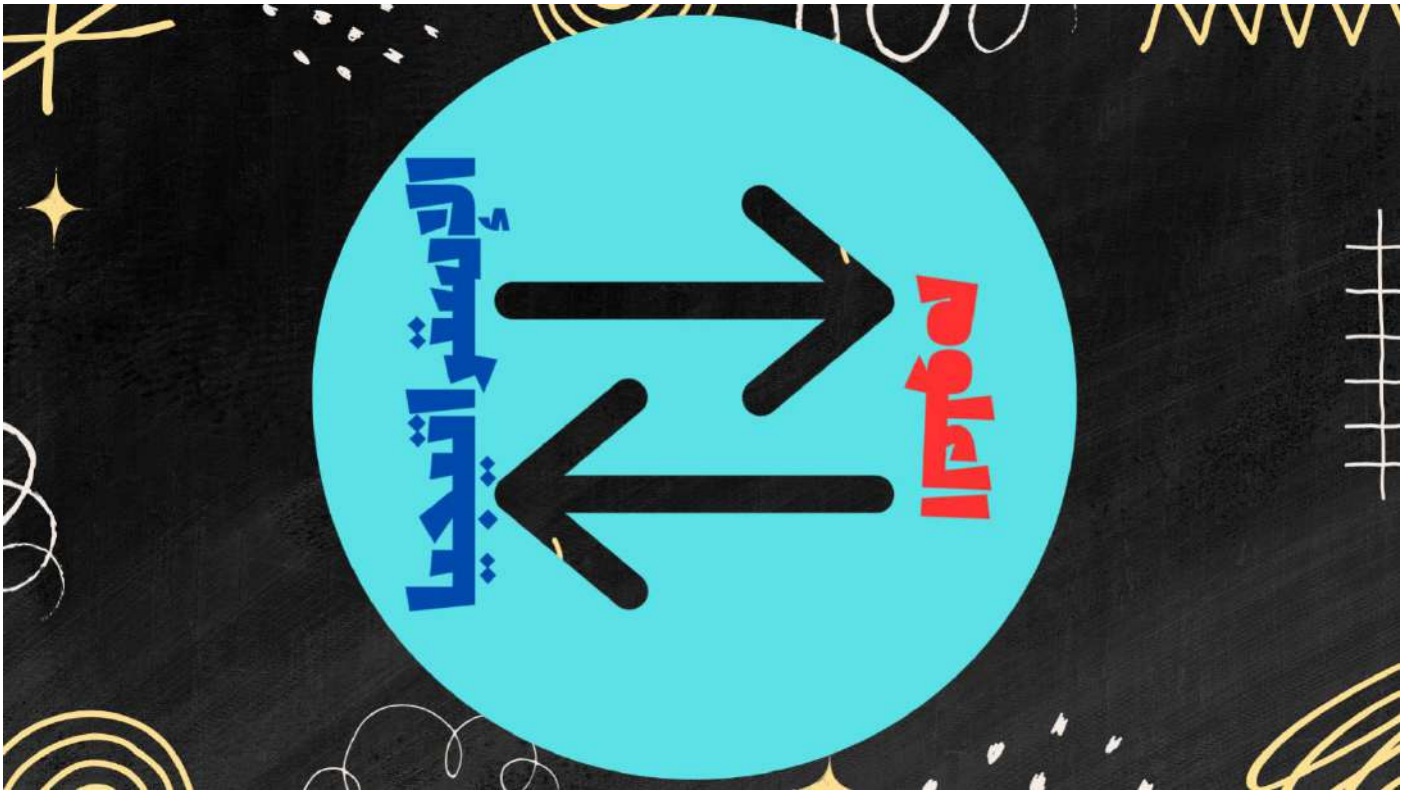

وكما أشرنا سالفا إلى أن الإستراتيجيا هي الجزء الذي يحتوي الكل(العلوم) داخله، فالعلوم كذلك هي الكل الذي يحتوي الجزء (الإستراتيجيا) في طياته .

- ❖ لتبرز الإستراتيجيا كذلك **كنقطة جامعة** بين العلوم ، بإعتبارها تنطلق من العلوم العسكرية لتمتد و تشمل بقية العلوم وشتى المجالات بما في ذلك الحياتية.

10) وكأني أرى في هذا الكتاب " لوحة موزاييك" على شاكلة « فلسفة حرب » .

- ❖ ففلسفة الحرب وان اعتمدت لفهم و تفسير ظواهر معقدة تتميز بالفوضى أو العشوائية مثل الحرب ، ولكنها تبرز في هذا الكتاب كمزيج بين التحليل العقلاني (منطقي) الواقعي وفي نفس الوقت " ظاهراتي" (phenomenological) وهي مستلهمة كذلك من « الطاوية » (Taoismثقافة صينية قديمة) .
- ❖ فقد راعى سون تزو في هذا الكتاب الجوانب الإنسانية ، و الروحانية إلى جانب الجوانب الجسمانية أو الفيزيولوجية و حتى المادية الإقتصادية (الممتلكات مثلا) ويبرز ذلك في :

- شرحه كيف « يمكن تحقيق النصر مع تجنب القتال إذاكان ذلك ممكنا » .
- و في إدارة المدن التي يقع غزوها و الحفاظ على مؤسساتها و المعاملة الإنسانية لسكانها
- و طريقة التعاطي مع الأسرى من جنود العدو ،« يجب معاملة الأسرى من الجنود بطيبة والإبقاء عليهم » (كما ورد عن سون تزو بالفصل الثاني) .
- وكأن هذا الكتاب نواة لإرساء« قواعد و أخلاقيات للحرب » ، الظاهر منها (في النزاعات و الصراعات و المواجهة المباشرة والغير مباشرة) و الباطن (الظروف المحيطة بالمواجهة) مثلما هو الحال اليوم عبر« القانون الدولي الإنساني» (حماية المدنيين و رجال الإغاثة حتى الصحفيين و غيرهم أثناء الحرب) ، وحتى ما يعرف **بنظرية «الحرب العادلة» (الحق في بدء الحرب والحق خلال فترة الحرب) للقديس توما الأكويني تبرز و" كأنها امتداد لهذا الكتاب" .**

11) هذا الكتاب :

❖ شبيه بدليل لفنون القتال الصينية التي جعلت في الأصل للدفاع عن النفس و في نفس الوقت للهجوم لتحقيق السلام الداخلي (أي النفسي أو الروحي) والسلام الخارجي (جسدي) .

❖ وكأن هذا الكتاب هو رسالة سلام ، فقد تطرق إلى « السلام » في عديد الفصول (مثلا في الفصل الثالث ، التاسع ، ثم 12و13) فإن لم يركز عليه (السلام) فإنه فتح المجال إليه ، وإلا ما كان قد أسبق مصطلح أو كلمة «الفن للحرب » أو نعت « الحرب بالفن » ، فالفن هو الجماليات المتجلية في المخلوقات و الأشياء ، فهو السلام المنشود.

❖ فرغم ما للحرب من سلبيات على الإنسانية (مآسي، كوارث ، محن....الخ) ، إلا أنه يدخلها في منظومة الإستطيقا (علم الجمال) كالأعمال الفنية مثل اللوحات التشكيلية والسيمفونيات .

وإن جمع بين النقيضين « الجمال و البشاعة» ، وكذلك الروحاني (الفن) والمادي (الحرب) ، ففي هذه الجدلية إحالة إلى« التغيير و التطور» ، وإحالة كذلك إلى« الين واليانغ » حيث يجسدان التوازن بين القوى المتضادة والمتكاملة التي تشكل كل جوانب الوجود .

فكما تحتوي اللوحة الفنية النور(اليانغ) والظل(الين)، كذلك الحرب تشمل الدفاع والهدوء(الين) وكذلك الهجوم والحركة و الإندفاع(اليانغ) .

و بالتالي وجب الجمع بين الأضداد لتحقيق " التوازن الوجودي" ، فالحرب والسلام متكاملان ، متشابكان رغم تضادهما .

- فلا يمكن أن يدرك هذا الإبداع غير **فنان يتحلى بالإحساس الفني** ، أو **فيلسوف يبحث عن الحكمة عبر التفكير الواضح و العميق** ، أو مفكر استراتيجي يجمع بين خصال الفنان و الفيلسوف ، ليكون « **الفيلسوف الفنان** » .

و بالتالي لايمكن فهم كتاب « فن الحرب » إلا من خلال مزعج الإحساس بالروح والعقل، فهو منهج سلوك ، طريقة تفكير و شعور، والطريق إلى التغيير.

(أنظر أسفله نموذج لمجلد كتاب فن الحرب)

فن الحرب

孫子兵法

The Art of War

L'Art De La Guerre

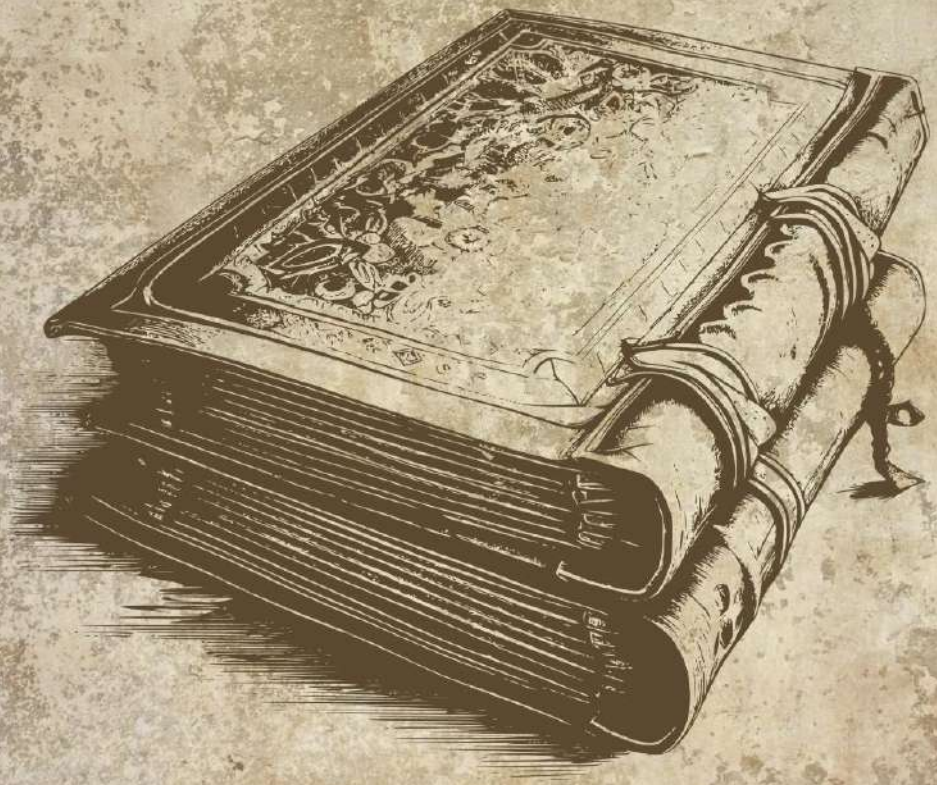

12) **أصبح** الحديث اليوم على أنواع و أنماط للحروب ، فمنها ما يصنف بالحروب التقليدية و أخرى بالحروب غير التقليدية وحتى الحروب الألكترونية والسيبرانية ،الحروب النووية ، الحروب الشاملة وأخرى الغير متكافئة....الخ ، كذلك و في المقابل نجد **السلام الإيجابي و الآخر السلبي. (Positive Peace And Negative Peace)**

13) وبذلك نكون قد " أسدلنا الستار" على ما لكتاب « فن الحرب » من استراتيجيا و إتصال بين الماضي والحاضر و المستقبل ، اتصال الداخلي بالخارجي ، اتصال المحلي بالكوني ، اتصال الفردي بالجماعي ، اتصال المادي بالمعنوي وحتى اتصال الجزئي بالكلي وصولا إلى **اتصال « الفن بالحرب »**.

بمقام خاتمة

- ❖ لم يكن سون توز " بأيقونته " « فن الحرب » رمزا للقائد العسكري ، الحكيم (الفيلسوف) ، والمفكر العالم فقط ، بل كان واجهة ساطعة و منيرة لحضارة صينية امتدت لقرون ومازلت آثارها راسختا وعروقها ممتدتا إلى يوم الناس هذا وإلى يوم يبعثون. حضارة لا تعترف بالحدود الزمانية و لا المكانية ، تعترف فقط **بالإنسانية**.
- ❖ لايمكن اختصار سون تزو أو مؤلفه في انتمائه للصين وحضارتها ، ولكن وجب إدراك أن من أعطى وأضاف للبشرية ، لا يمكن حصره في إطار المواطنية المحلية ، بل **يتجاوز حتى الكونية ليرتقي إلى الألوهية**.
- ❖ لايمكن أن نكون قد ألممنا بجميع جوانب الكتاب و لا غيره من الكتب ، ولكن نكون عبر اجتهادنا هذا، قد حركنا المياه الراكدة و فتحنا بابا من أبواب الإجتهاد ونسأل الله التوفيق .

الصورة أسفله هي اجتهاد شخصي للإطار العام " لدينماميكية " الإستراتيجيا عبر مثال « لعبة الشطرنج و لعبة الحظ أو الزهر» ، بين الحتمية أو اليقين و اللاحتمية أو اللايقين .

Noble Governance

Our common destiny

The Strategy

<< Between dice and chess games >>

Most experts or even strategists reduce strategy to a simple or single interaction between cause and effect or objective in a deterministic approach (chess game), logical, led by "order", but they do not take into account or even ignore the "other side" hidden but essential of the strategy that must be taken into account is that of Chance (dice game) i.e.: indeterminism, uncertainty, the unexpected, chaos in its extreme state << random >> therefore that of "disorder" which can transform or even change the essential objective towards another objective.

DR.jouini Mohamed Béchir

Futuristic Strategist

المراجع و الإحالات :

The_Art_Of_War (بالإنجليزية) :

https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://sites.ualberta.ca/~enoch/Readings/The_Art_Of_War.pdf&ved=2ahUKEwiYm-jGppSPAxU4_7sIHV7uAiEQFnoECCAQAQ&usg=AOvVaw2JfwfGDCzGSCEeT4eQOK-Z

فن الحرب (بالعربي)

https://foulabook.com/ar/book/%D9%81%D9%86%D9%91-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-pdf

L'Art de la guerre (بالفرنسية) :

https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://sympa.inria.fr/sympa/arc/typographie/2011-08/msg00072/art-de-la-guerre.pdf&ved=2ahUKEwjr2P6RqpSPAxUig_0HHZ_NJuoQFnoECAsQAQ&usg=AOvVaw2wFAKffsr79liGjLPNGfSS

ملاحظة: الترجمة الفرنسية لجوزيف ماري أميوت متبوعة بالنص الأصلي بالصينية ، أما الترجمة العربية فتعتمد على الترجمة الإنجليزية المترجمة بدورها من الصينية.

نظرية و مقاربة: الحوكمة النبيلة

Noble Governance

(التسجيل و النشر)

مسجلة في بنك النظريات أوالمناهج عبر الرابط :

https://www.universalforesight.com/uf-methods-bank/11391

منشورة باللغة العربية في مجلة علمية دولية محكمة عبر الرابط :

مجلة رؤى سياسية/afakcenter.com

(العدد الثالث ، من الصفحة87 إلى 116)

NG
Noble Governance
Our common destiny

Noble Governance
Our common destiny

المؤلف في سطور

د.محمد بشير الجويني

تونسي الجنسية ،اقتصادي التكوين الأكاديمي،متعدد المدارس و الإختصاصات العلمية (تنمية،سياسات عمومية،حوكمة،استراتيجيا و استشراف ,بناء السلام...)،مدرب وخبير دولي،كاتب وباحث،سفير السلام و صاحب نظرية الحوكمة النبيلة.

البريد الألكتروني الخاص
jouinimohamedbechir@hotmail.com